مُحاضَرات

حَوْلَ الإسْرَاءِ والمِعْرَاج

آثارُهُ - فضائِلهُ - أسرارُهُ

ألقاها

الإمام المفسّر المحدّث الشيخ

عبد الله سراج الدين الحسيني

رضي الله تعالى عنه

جمع وتقديم

محمد محيي الدين سراج الدين

يُطلبُ مِن مكتبةِ دارِ الفلاحِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها القارئ الكريم

هب ثواب قراءتك لسورة الفاتحة

إلى العلامة الكبير والعارف الشهير

الإمام الحافظ المفسّر المحدّث

الشيخ عبد الله سراج الدين الحسيني

رضي الله تعالى عنه

كلّما قرأت في كتابٍ من كتبه، أو سمعت بخبره

وجزاك الله خيرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مُحَاضَرَاتٌ
حَوْلَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ

آثَارُهُ - فَضَائِلُهُ - أَسْرَارُهُ

أَلقَاهَا

الإمامُ المفسِّرُ المحدِّثُ الشَّيخ

عبد الله سراج الدّين الحسيني

رَضِيَ اللهُ تعَالى عَنه

جَمْعُ وَتَقْدِيمِ

محمد محيي الدين سراج الدين

يُطْلَبُ مِنْ

مكتبة دار الفلاح

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنِّي جمعتُ في هذا الكتاب ما عثرْتُ عليه من محاضراتٍ لشيخنا الإمام رضي الله عنه، حول إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعراجه، حرصاً على نشر العلوم الدينيَّة، التي ورَّثها الشيخ الإمام رضي الله عنه، وذلك لِمَا فيها مِنْ منافع وفوائد لطلاب العلم خاصة، ولكل مَنْ أراد التفقه في أمور دينه من المؤمنين عامة.

ولقد كان شيخنا الإمام رضي الله عنه يُولي البحث في قضية الإسراء والمعراج أهمية خاصة، ويُبيِّنُ أنَّها مُعجزة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا

تزال آثارها وفضائلها وفوائدها باقية، يجري خيرها ونفعها إلى كل مؤمن.

ولقد كان شيخنا الإمام رضي الله عنه يَلفت الفكر والنظر إلى أمورٍ وقضايا قد يغفل عنها كثير من النَّاس، وقد يُكرر ذلك في مناسبات متعدِّدة.

ويُبيِّن في هذا السياق أَنَّ معجزة الإسراء والمعراج ليست من باب التسلية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو كشف الأحزان عنه، بل إنَّ هذه المعجزة العظيمة هي أجلّ وأعظم من ذلك.

ولقد بيَّن سبحانه الحكمة منها فقال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

وإنَّ في معجزة الإسراء والمعراج فضائل ومكارم خاصة لجناب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تجلّت في رؤيته وسماعه لآيات الله الكبرى،

واطِّلاعه على المغيبات، وما هنالك من التجلِّيات الإلّهية، والمشاهدات والعلوم والمعارف التي أفاضها الله تعالى عليه، والتي لا يَعرف حدّها إلا الله تعالى.

وفي معجزة الإسراء والمعراج أيضاً فوائد ومنافع تعود على أمَّته صلى الله عليه وآله وسلم، هذا ما أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه الشريفة، فمنها القضايا الإيمانيّة الغيبيَّة، ومنها الأحكام الشرعيَّة، والإخبارات والبشائر لأهل الطاعات، والإنذارات والعقوبات لأهل الفسوق والمعاصي.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الشيخ الإمام رضي الله تعالى عنه قد تناول البحث في خصوصيَّة تجلِّي ربِّ العالمين جلَّ وعلا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه سبْحانه بعيني بصره.

وبيَّن رضي الله عنه أنَّ رؤية النظر لا يلزم منها الإدراك والإحاطة. وأنَّه لا يمكن لأحد أن يُدرك حقيقة

أو كُنْهَ أوذات ربِّ العالمين جلَّ وعلا؛ بصراً أو عِلْماً.

ولا ينافي هذا أن المؤمنين في الجنَّة سيرون ربَّهم سبحانه، لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ و٢٣] فهم يرونه جلَّ وعلا، ولكن لا يحيطون به رؤية ولا علماً، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقد بحث شيخنا الإمام رضي الله عنه في ذلك مفصَّلاً في كتاب: (شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فارجع إليه تجد ما ينفعك إنْ شاء الله تعالى.

والله تعالى نسأل، وبحبيبه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نتوسل، أن يجعل هذا العمل وسائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأنْ يجعل ثوابه في صحيفة حسنات شيخنا الإمام رضي الله عنه، وفي كتاب أعماله الواسع، وأن ينفع به أصناف العباد إلى يوم المعاد.

وصَلَّى الله عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ

وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

وكتبه :

محمد محيي الدين سراج الدين

المحاضرة الأولى :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾.

﴿سُبۡحَٰنَ﴾ عَلَم على التسبيح، وهو منصوب على المصدر، ممنوع من الصرف لأنَّه اسم جامد كعثمان.

ومعنى: ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ أي: تسبيحاً، فتقول: سبحان الله، أي: تسبيحاً لله، والمراد: أسبح الله تسبيحاً.

والتسبيح هو: التنزيه، فتسبيح الله هو: تنزيه الله عمَّا لا يليق به سبحانه.

وقد يأتي التسبيح متضمِّناً معنى التعجب، كقوله

سبحانه: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ففي الآية معنى التعجب مِمّا خصَّ الله به عبده صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن فيه معنى التعظيم بكمال قدرته تعالى.

وقد يكون فيه معنى التحميد، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الزخرف: ١٣].

والحمد هو: إثبات الكمالات اللائقة به سبحانه.

ومعنى: سبحان الله وبحمده: أي: أسبّح الله تسبيحاً لائقاً به، وأحمده حمداً لائقاً به تعالى.

فالباء للمصاحبة أي: فالمراد تسبيحاً مصحوباً بحمده سبحانه.

وقد أشار إلى هذا سبحانه في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: ما من شيء إلا ينزّه الله تعالى عمَّا لا يليق به، ويُثْبت له الكمالات اللائقة به سبحانه وتعالى.

وقد أمر سبحانه بذلك، أي: بالتسبيح المصحوب بالحمد كقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣].

فالله تعالى لَمَّا يأمر العبد بالتسبيح بحمده، يقول العبد: سبحان الله وبحمده، أو: سبحان الله والحمد لله.

ومعنى «سُبُحات وجهه»[١] المذكورة في الحديث: أنوار الوجه المنزهة عن الكيفية.

ومعنى السُّبْحة: خرزات منظومة إلى بعضها.

والمُسَبِّحة: هي التي تلي الإبهام، وهي اسم فاعل من التسبيح، لأنَّها كالذاكرة حين الإشارة بها إلى الإقرار بالألوهيَّة.

ومن أسرار الإسراء والمعراج:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في (المسند) (٤: ٤٠١) ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينام» /١٧٩/ (١/٣٤٦) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فهذا التسبيح فيه تنزيه الله تعالى عن أن يكون إسراؤه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه قُرب مكان، إذْ ليس هو سبحانه حالاً في مكان، أو في السماوات حتى يُقرّب إليه رسوله قرب مكان.

فهذا الإسراء بقطع المسافات الشاسعة بين مكة وبيت المقدس، ثم ما هنالك إلى السماوات السبع، وَسِدرة المنتهى؛ في مدة قصيرة من الليل، هذا لا يقدر عليه أَحَدٌ إلاَّ مَنْ له القدرة التي لا تتناهى، فسبحانه وتعالى بإسرائه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا التسبيح فيه معنى التعجب.

ولقد بدأ تعالى سورة الإسراء بالتسبيح، الذي هو تنزيه الله تعالى عمَّا لا يليق به من الآفات والنقائص

والعيوب، وختم هذه السورة بالحمد الذي هو ثُبوت المحامد والمحاسن كلها لله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

فهذا يدلُّ على أنَّ الإسراء والمعراج قام على أصول ثلاث: ١ـ التسبيح ٢ـ التحميد ٣ـ التكبير. وهي أسس الصلاة التي فرضها الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج.

قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ولم يقل: سبحان الذي دعا عبده إليه فسرى إليه. وفي هذا بيان أنَّ الإسراء وما شاهده عليه الصلاة والسلام من العجائب والآيات في السماوات وغيرها... هذا لا يَقدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ باعتبار قدرته البشريَّة، إنَّما صاحَبَتْهُ العناية والقدرة الإلٰهية، ولهذا قال تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي: بصحبة عبده، وصحبة الله لعبده

هي ربوبيته وعنايته الخاصَّة به صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في (مسنده)[1] «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد سفراً قال[2]: «اللهُمَّ أَنْتَ الصاحِبُ في السَّفر...».

فلقد سافر عليه الصلاةِ والسلام إلى الله بالله، وفي هذا إشارة للسالكين والسائرين إلى الله تعالى، أَنَّ سيْرهم إذا لم يكن إلى الله بالله فلا يَصلون إلى الله تعالى.

---

(١) (٢٢٤/٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) طرف من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الحج، باب ما يقوله إذا ركب إلى سفر الحج وغيره /١٣٤٢/ (١٣٧٨/٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قولـه سـبحانه: ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ ولم يقـل: برسـوله أو بنبيِّه، ليبيِّن أَنَّهُ أسرى بعبده بصفة أَنَّـه عبـد مطلـق لله، تحـرّر مِـنْ رقّ الأغيـار والأسـباب، وتحقَّـق بالعبوديَّـة الخالصة لله تعالى، فلم يلحظ رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم في إسرائه ومعراجه إلا ربَّه سبحانه وتعالى.

والإسراء لا يُطلق إلاَّ على السير في الليل، والسير قد يكون في اللَّيْل أو النَّهار... فلمَّا قال تعـالى: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ دلَّ على أنَّ الإسراء كان في الليل، فَلِـمَ قـال بعد ذلك: ﴿لَيۡلًا﴾ ؟!!.

نعم ليُبيِّن أنَّ الإسراء وما بعده من المعراج كان في مدَّةٍ قصيرة من الليل. أي: في بَعْضٍ من الليل ـ ومِنْ هنا يقولون: إنَّ التـنكير للتقليـل ـ وحـتى لا يُظَـنَّ أَنَّ هـذا الإسراء والمعراج شَغَلَ الليل كلَّه، إنَّما هو في جزء من الليل.

ولقد بَيَّنَ سبحانه أنَّ الإسراء كان ليلاً، لأنَّ الإسراء كان فيه انتقال إلى عالم غيبي، وهو عالم السماوات السبع وما بعدها، فحُقَّ لمن يَسري، ثم يعرج إلى عالم غيبي؛ أَنْ يسري في زمن غيبي وهو اللَّيل، لأنَّ الزمان منه شهوديٌّ ومنه غيبيٌّ، فالنهار مشهود ترىٰ فيه الأشياء، واللَّيل غيب.

وباعتبار أنَّ في الليل خصائص من الله تعالى، وعنايات خاصة بأنبيائه وأحبابه، لأنَّ فيه خَلوة للقلب مع الله تعالى، وكشفاً للحجب، وتنزلاً للتجلِّيات.

وقد ذكر الله تعالى العنايات والرَّحمات بأنبيائه في اللَّيل، ومن ذلك ما قال للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١].

وهكذا يقول في حق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾.

ومن ناحية أخرى يُبيِّن سبحانه أَنَّ ما سمعه صلى الله عليه وآله وسلم، وعاينه ليلة إسرائه ومعراجه، هذا لا يتيسر لغيره، ولا يمكنه ذلك، إذْ أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم سرى إلى الله في اللَّيل الذي هُو وقت خفاء الأشياء، ففي هذا الوقت أراه الله تعالى ما أراه من الآيات التي ما رآها غيره.

فلم تكن هذه الرؤية معتادة لغيره، أَوْ أَنَّها تستند إلى ضوء الشمس أو ضوء القمر، بل هي رؤية بإنارة ونور من الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ .

وقد كان البدء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لأنّ المسجد الحرام هو مَقرّ شريعة إبراهيم عليه السلام، والمسجد الأقصى هو مقرّ شرائع بني إسرائيل وَوَحْيِهِم.

فعرج عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى على كمال الشريعتين، ونال شريعة كاملة عمَّت الشريعتين، التي فيها الصلاة التي جمعت صلاة إبراهيم وصلاة بني إسرائيل، وزادت عليها كمالاً.

وباعتبار آخر: إنَّ بقعة المسجد الأقصى تُوافق وتسامت تماماً باب المعراج المحمدي، الذي يَصعد منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلْأَقْصَا﴾ أي: الأبعد، إذ كان أبعد ما يكون عن المسجد الحرام مِن المساجد مِن ناحية الشام، ثم هو الأبعَد في الرتبة والمكانة ـ أي: الأنزه ـ البعيد عن الكفر والضلال، بل هو مُقدَّس منزّه، وهو مَهبط نبوّات بني إسرائيل وشرائعهم، ومهبط الكلام والوحي الإلٓهي على موسى عليه السلام، فهو أقصى. أي: بَعيد المقام والمنال.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: باركنا فيه، حتى عمَّته البركة وعمَّت ما حوله من البلاد الشاميَّة.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ أي: عجائب قدرتنا، وآياتنا الخاصة. وليست تلك العجائب محصورة في جبال بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس، إذ يراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيره.

ولقد بيَّن الله تعالى تلك الآيات في سورة النجم: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] وأين كانت تلك الآيات؟ قال تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم ١٤ـ ١٥].

فهذه الآية: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ تدل على أن الإسراء ثابت بالقرآن، والمعراج كذلك ثابت بالقرآن، فقوله سبحانه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ تفسيره: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ وأين كانت رؤية تلك الآيات الكبرى؟ قال تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، هي فوق السماء

السابعة، فهذا يدلُّ على أنَّ المعراج كان عقب الإسراء، وأن ليلة الإسراء هي ليلة المعراج، وأن كليهما ثابت بالقرآن الكريم.

وقد افتتح سبحانه السورة التي ذكر فيها آيات المعراج بقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ـ٢].

فلقد أقسم تعالى بالنجم إذا هوى، ولم يُقْسم بغير ذلك من الآيات الكبرى، ليتعقَّل الإنسان ويتفكَّر ويتدبَّر مناسبة الآيات مع بعضها، وذلك ليبيِّن الله تعالى أنَّ الذي قَدر على تسيير النجم ـ والمراد: جنس النجوم السيَّارة ـ بالسرعة الزائدة، مع ضخامة جسمها، وعدم تفتّتها، قَدر على أن يَسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقطع به هذه الأجواء إلى أن انتهى به إلى سدرة المنتهى فما فوقها، مع المحافظة على جسمه الشريف من التفتّت وغير ذلك.

قولــه تعــالى: ﴿هَوَىٰ﴾ أي: أســرع في حركتــه، والعرب تعبِّر عن سرعة الشيء بالهويّ. قال الله تعـالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ﴾ أي: تُســـرع غايـــة السرعة ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: إلى أهل مكة.

فبرهان صدق المعراج ودليله القاطع قوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ أي: بل هـو علـى الهدى في أقواله وأفعاله منذ صغره صلى الله عليه وآلـه وسلم.

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: بل هو على الصـواب والرشـاد، فما ضلّ في علمه، ومـا غـوى في عملـه، قبـل النبـوة وبعدها.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ أي: أنَّ منطقه عليه الصلاة والسلام كان كله عن وحي من الله

تعالى، ومن جملة ذلك إخباره بأنَّه أُسري به، وَعُرِجَ به إلى السماوات.

قوله سبحانه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعني: لنريه من آياتنا، ونسمعه أيضاً من آياتنا، يَدل على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فبيّن الله تعالى أن الله السميع البصير يُسمع مَنْ شاء ما شاء، وَيُبَصِّر من شاء ما شاء، فأسمع الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات ما أسمعه، وأراه كذلك... قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ عُرِجَ بي حَتَّى ظَهَرْتُ لمسْتَوَى أسْمَعُ صَرِيْفَ الأقَلام»[1].

---

(١) طرف من حديث الإسراء الطويل الذي رواه الإمام أحمد في (المسند) (٥/١٤٣) والبخاري في أول كتاب الصلاة /٣٤٩/ (١/٤٥٨) ومسلم في كتاب الإيمان /١٦٢/ (١/٣٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس وأبي حبة الأنصاري رضي الله عنهم، وأصل الحديث عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

فقوله جلَّ وعلا: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعني: الآيات الجامعة المتنوِّعة، التي هي في عالم السماوات، وعالم السِّدرة، وعالم الجنة، والعوالم العلويَّة الأخرى.

ولقد حدّث صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض تلك الآيات التي رآها، فمن ذلك ما جاء في أحاديث المعراج التي أخرجها البخاري ومسلم رضي الله عنهما، وما مِنْ محدث إلاَّ وذكر أحاديث المعراج.

فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ. وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعاً، إِذْ أَتَانِي آتٍ» وفي رواية للبخاري: «بين النائم واليقظان»[2]

---

(١) الحديث في (المسند) (٤/٢٠٨) والبخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج /٣٨٨٧/ (٧/٢٠١) ومسلم /١٦٤/.

(٢) في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة /٣٢٠٧/=

أي: لما أتاه الآتي استيقظ عليه الصلاة والسلام.

قَالَ: «فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» يعني: من نحره صلى الله عليه وآله وسلم إلى السرَّة «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْت مِنْ ذَهَب مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، أَبْيَضَ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ» وهذه الدابة من عالم البرزخ، وليست دابة أرضيَّة، وقد أشار إلى هذا عليه الصلاة والسلام بقوله: «دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ» أي: بَيْن بَيْن، والبرزخ هو بَيْن بَيْن. فليست هذه الدابة مِنْ عالم الشهادة، وليست من عالم الغيب، وإنما برزخيّة لها حكم العالمَيْن.

«فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا،

= (٣٠٢/٦) ومسلم /١٦٤/ عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَـذَا؟ قَـالَ: جِبْرِيـلُ، قِيـلَ: وَمَـنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْـهِ؟ قَـالَ: نَعَـمْ، قِيلَ: مَرْحَباً به، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فقَالَ: هَـذَا أَبُـوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَـالَ: مَرْحَبـاً بـالابْنِ الصَّـالح وَالنَّبِـيِّ الصَّـالِحِ» أي: الصـالح لأعلـى المقامات.

وفي رواية للبخاري[1]: «فَلَمَّا فـتح عَلونَـا السَّـمَاء الدُّنيا، فإذَا رَجُـلٌ قَاعـد، علـى يَمِينِـه أَسْوِدَة، وعَلَـى يَسَارِه أَسْوِدَة» يعني: أشكال أرواح «إذا نَظَر قِبَـل يَمينـه ضَحِكَ، وإذا نَظَرَ قِبَل يَسَاره بَكَى. فقال: مَرْحَبَـاً بـالنَّبي الصَّالح والابن الصَّالح، قُلتُ: لجبْرِيْل: مَنْ هذا؟ قـال: هَذَا آدم، وهذه الأَسْوِدَةُ عَـنْ يَمِينِـه وشِـمَاله نَسَـمُ بَنِيْـه

(١) في أول كتاب الصلاة /٣٤٩/ عـن سـيدنا أبي ذر رضـي الله عنه.

فَأَهْل اليَمِيْن مِنْهُم أَهْل الجَنَّة، والأسْودِة الَّتي عَنْ شِمَاله أَهْلُ النَّار» ووجودهم هذا وجود برزخي مِثَالي، لأنّ الله تعالى أخبر بأن أرواح الكُفَّار لا تفتّح لها أبواب السماء فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

«ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيل: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْه؟ قال: نَعَمْ، قيل: مَرْحَباً به فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَة، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالا: مَرْحَبًا بالأَخِ الصَّالح وَالنَّبيِّ الصَّالح.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاء الثَّالثَة فَاسْتَفْتَحَ، قيل: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ، قيل: وَقَدْ أرْسلَ إلَيْه؟ قَالَ: نَعَمْ، قيل: مَرْحَباً به فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخ الصَّالح وَالنَّبيِّ الصَّالح.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قيل: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْه؟ قَالَ: نَعَمْ، قيل: مَرْحَباً به فَنعْمَ الْمَجِيء جَاء، فَفَتحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فإذا إدْريسُ، قال: هذا إدْريسُ فَسَلِّمْ عَلَيْه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخ الصَّالح وَالنَّبيِّ الصَّالح.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قيل: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيْل: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْه؟ قال: نَعَمْ، قيل: مَرْحَبًا به فَنعْمَ الْمَجيء جَاء.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ

عَلَيْه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخ الصَّالح وَالنَّبِيِّ الصَّالح.

ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاء السَّادسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قيل: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيل: ومَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسلَ إِلَيْه؟ قَالَ: نَعَمْ، قيل: مَرْحَبًا به فَنعْمَ الْمَجِيء جَاء.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخ الصَّالح وَالنَّبِيِّ الصَّالح.

فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بكَى. قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلاماً ـ أي: شاباً ـ بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّته أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي» فكان بكاؤه بُكاء غِبْطَةٍ لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

«ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاء السَّابعَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَال: جِبْرِيلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:

مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أرسل إِلَيْه؟ قَالَ: نَعَمْ. قيلَ: مَرْحَباً به فَنعْمَ الْمَجِيء جَاء.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإذَا إبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَرَدَّ السَّلامَ وقَالَ: مَرْحَباً بالابْنِ الصَّالح وَالنَّبِيِّ الصَّالح».

وفي رواية الترمذي[1]: «لَقِيتُ إبْرَاهِيم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فقال: يا مُحَمَّد أَقْرِئ أمَّتَك مِنِّي السَّلام، وأخْبِرْهُم أنَّ الجنَّة طَيِّبَة التُّرْبَة، عَذْبَة المَاء، وأَنَّهَا قِيْعَانٌ، وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إلَـه إلاَّ الله، والله أكْبَر».

فقد بيَّن لنا الخليل عليه الصلاة والسلام أنَّ غراس الجنَّة هي هذه الأصول الإيمانيَّة: التسبيح القولي والعملي، وكذا التحميد، وكذا التهليل والتكبير . ومثال

---

(١) في كتاب الدعوات /٣٤٥٨/ (١٤٨/٩) عن سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

ذلك: الصلاة، ففيها تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير؛ قولاً وفعلاً.

أما قولاً: فالثناء على الله تعالى في الركوع والسجود والافتتاح، وفيها التسبيح الفعلي بأَنْ يخشع المصلي، ويخضع لله تعالى، وأَنْ ينزهه تعالى عن أنْ يكون مخلوقاً ؛ أو يُشْبِه المخلوق.

وهكذا **التحميد**: أمَّا قولاً فمعروف، وأمَّا فعلاً فإنَّ صلاتك نفسها حَمْدٌ فعليٌّ لله تعالى.

والتهليل: بأنْ تشْهد أن لا إلَهَ إلا الله. وإفرادك له بالعبوديَّة في تلاوتك لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكذلك التكبير دوماً.

فأول ما يُطلب من الإنسان في العقيدة أَنْ ينزه الله عمَّا لا يليق به، وهو التسبيح، ثم تحمده بأن تصفه بالكمالات اللائقة به، ثم تُوحِّده وتفرِّده في ذلك، فلا شبيه ولا شريك له في نزاهته أو محامده، فتقول: لا إلَهَ

إلا الله، لكن أمر الله أعظم من ذلك فتقول: الله أكبر. أي: ممَّا سبَّحتُ ونزهتُ ووحدتُ، وأكبر ممَّا يُتصوَّر، فكانت نهاية العقيدة تكبير الله تعالى.

فهو سبحانه منزَّه مقدَّس، موصوف بالمحامد كما نعلم وفوق ما نعلم. ولَمَّا كانت الصلاة قائمة على هذه الأصول، أمر عليه الصلاة والسلام أنْ نُسبِّح الله بعد الصلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، ونكبِّره ثلاثاً وثلاثين. لِما يقع في الصلاة من نقص في هذا[1].

واعلم أنَّه عليه الصلاة والسلام رأى وعاين مقامات الأنبياء، وأما تفاصيل ما رأى فيمكن أنْ نعرفها مِنْ مقامات وخصائص الرسل عليهم السلام، فأخبر عليه الصلاة والسلام أنَّه رأى في السماء الأولى آدم عليه

---

(١) كما في (صحيح) البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة /٨٤٣/ (٢/ ٣٢٥) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة /٥٩٧/ (٢/٧٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

السلام، وهو الأب الجسماني للبشر، ولذلك عاين عن يمينه ذريَّته السعداء، وعن شماله ذريَّته الأشقياء.

وفي هذا أطلع الله نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم على كيفية التناسل والتوالد، فأمر التناسل والتوالد ينزل من السماء الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] ولهذا اقتضت الحكمة أن يكون آدم عليه السلام في السماء الأولى، لأنَّه الأب الجسماني لهم.

ثم في السماء الثانية رأى عيسى ويحيى ابني الخالة عليهما السلام، وقد خلقهما الله تعالى على طريقة غير معتادة بين الناس، فكان عيسى عليه السلام مِنْ أم بدون أب، ويحيى عليه السلام وُلِد مِنْ أب عقيم وأمّ عاقر كما قال تعالى مخبراً عن سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] فمن السماء

الثانية يَظهر سر الإحياء والتصوير. إحياء الله تعالى للأشياء وتصويره لها.

ومن أمور السماء الثانية ما يتعلق بقضايا أشراط الساعة، لأنَّ عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمن، وتقع أشراط الساعة الكبرى.

وفي السماء الثالثة التي فيها يوسف عليه السلام الذي أعطاه الله شطر الحسن والجمال، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أُعطي الجمال كلَّه، فَمِنْ أمر السماء الثالثة تَظهر أمور الجمال الصوري، قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١].

ومن خصائص السماء الثالثة أيضاً أَن فيها أسرار وخصائص العالم البرزخي وأمثلته، وسيدنا يوسف عليه السلام أُوتي عِلْماً نبوياً عظيماً فيما يتعلق بالرؤيا، وهو مِنْ جملة عالم البرزخ، فهناك لكل صورة برزخية معنى يظهر أثره في عالم الشهادة، فمثلاً في السماء الثالثة يرى الإنسان السنين والأعوام في صورة البقر: السنين الخصبة

يراها في صورة بقر سِمَانٍ، والسنين المقحطة يراها في صورة بقر عجاف ضعيفة، ويرى العِلم والفطرة السليمة والدين في صورة اللبن، كما في الحديث[1] فكل هذه الخصائص والأسرار عاينها عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الإسراء: ١].

أما السماء الرابعة التي فيها إدريس عليه السلام وهي قَلب السماوات، لأنَّ فوقها ثلاث ودونها ثلاث، فمن أسرارها: أنْ تتنزل منها تقلّبات الأمور، كتقلّب الليل والنَّهار، وكيف ينشآن، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [النور: ٤٤].

وهناك أيضاً تقلّب القلوب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أصْبُعَيْن مِنْ أَصَابع الرَّحمَن عزَّ وجلَّ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[2].

---

(١) في أحاديث الإسراء المتقدم تخريجها.

(٢) كما في (المسند) (٣/ ١١٢) و (سنن) الترمذي كتاب =

وهنـاك يظهـر أيضـاً أسـرار الرمـوز، كمـا في الحديث: «إدْرِيْس هُوَ أَوَّل مَنْ خَطَّ بالقَلَم»[1].

أما في السماء الخامسة الَّتي رأى فيها هارون عليـه السلام، الذي كان مقامه الرأفة والرَّحمة، ولذلك كانت بنو إسرائيل تحبّه حباً جمّاً. فمن السماء الخامسـة تـتنزل الرقة والرأفة واللطف على من أراد الله به ذلك.

وفي السَّمَاء السَّادسة موسى الكليم عليه السلام، الذي أُوْتِيَ الألواح، فالسماء السادسة هي منزل الشرائع الإلٰهية.

ولمـا فُـرِض عليـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم خمسون صلاة قال: «ثُمَّ رَجَعْتُ إلى موسى عليه السلام

= القدر، باب ما جاء أن القلـوب بـين أصـبعي الـرحمن /٢١٤١/ (٦/ ٣١٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(١) طرف من حديث رواه ابـن حبـان في كتـاب مـا جـاء في الطاعات وثوابها، باب الاستحباب للمؤمن أن يكـون لـه في كل خير حظ /٣٦٤/ (١/ ٢٨٨) عـن سـيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

فقال: ارْجعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فإنَّهَا لا تُطِيْقُ ذلك» ثم حُطَّتْ إلى خمس صلوات.

أما في السَّماء السَّابعة فرأى فيها الخليل عليه السلام، الذي أسَّس بيت التوحيد ونواته، وبنى الكعبة المشرَّفة. وقد رآه صلى الله عليه وآله وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، والبيت المعمور هو: قبلة السماء السابعة، ولو نزلت منه على خطٍّ مستقيم تماماً لهبطت على الكعبة المشرَّفة. فحقّ لمن بنى بيت التوحيد في الأرض أن يستند إلى البيت المعمور في السَّماء السابعة.

فمنزل التوحيد هو البيت المعمور، وإنَّما سمّي بالبيت المعمور لأنَّه معمور بتوحيد الموحِّدين، وَمِنْ جملة من يعمره إبراهيم الخليل عليه السلام.

واعلم أنَّ العمارة لبيوت الله تعالى: منها العمارة الصوريَّة الجسمانيَّة، ومنها العمارة الروحيَّة، فبناء المسجد عمارة صوريّة فيها من الأجر والثواب على أجر وثوابِ مَنْ صلّى فيه.

والعمارة الروحية أنْ تعمر روح المسجد بالملازمة عليه، والإكثار من الصلاة والعبادة فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] أي: يعمرونه صورة ومعنى، جسماً وروحاً.

فالذي يعمر البيت المعمور هم الملائكة والأنبياء، وأرواح الأولياء العالية، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ رُفع لِيَ البيت المَعْمُور».

وفي رواية مسلم[(١)]: «وإذا هو يَدْخُلُه كُلّ يَوم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك لا يَعُودُونَ إليْه» فيدخلونه لعمارته والصلاة والتهليل فيه.

وقوله: «لا يَعُودُونَ إلَيْه» يعني: مرَّة ثانية، لأنَّه لا يتيسّر لهم دَور ونوبة أخرى، إنما الدور لغيرهم. لكثرة الملائكة عليهم السلام.

---

(١) في كتاب الإيمان / ١٦٢/ عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وقال بعضهم عن رواية: «لا يَعُودُونَ»: أي: يبقون فيه موحِّدين ومفرِّدين، وربَّما يصيرون منه وفيه والله أعلم.

واعلم أنَّ الله تعالى قَد أمر خُزَّان السَّمَاوات وأمُناءها أنْ ينتظروا قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إذا جاء فتحوا له واستقبلوه بقولهم: «مرحباً به فنعم المجيء جاء» وهذا أعظم مهابة واحتراماً فيما لو فُتحت أبواب السماء ودخلها دونما مراسم التعظيم والاحترام.

وممَّا يدل على كثرة الملائكة عليهم السلام، ما وَرَد في الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم ـ وإن كان السند ضعيفاً، إلا أنَّ كثيراً من المحدِّثين والعلماء تقّبلوه ـ وهو أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر: «أنَّ في السَّماء الرَّابعة نَهَراً ـ وهو نهر الحياة ـ يَنْغَمِسُ فِيْه جِبْرِيْل عَلَيْه السَّلام كُلَّ يَوم مرَّة، ثُمَّ يَتَقَاطَرُ مِنْ أجْنِحَتِه سَبْعُونَ أَلْفَ

قَطْرَةٍ، يَخْلُقُ الله مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[1] وهؤلاء من جملة مَنْ يدخل البيت المعمور ثم لا يعودون.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى» مما يدل على أنَّها فوق السَّماء السابعة «فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ» أي: إنَّ ثمرها كبير كالخابية الكبيرة في العظمة «وَإِذَا وَرَقُهَا مثْلُ آذَان الْفِيَلَة» والسدرة تعني: الشجرة. وقد ورد أنَّ هذه السدرة أحاطت بالسماء السابعة، بحيث أنَّ كل مَنْ صعد إليها مِنْ أيِّ مكان فهو منتهٍ عندها، فهي عالم كبير محيط بالسَّماء السابعة كالشجرة، لكنها لا كأشجار الدنيا، والمُعاين لها في ذلك العالم يقول عنها: شجرة.

وأما كونها سدرة المنْتهى: أي: ينتهي إليها ما دونها، ويحطّ عندها ما فوقها. كما قال عنها ابن مسعود

---

(١) ينظر (فتح الباري) (٦/٣٠٩) والسيرة الشاميَّة (٣/١٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

رضي الله عنه[1]، فهي مَحَطة لتنزل الأمور الإلٓهية مِن فوقها عليها، ومنْ المعلوم أنَّ الأمور لها تنزُّلات، كما قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فمصدر التنزل من عالم العرش، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] فينزل الأمر مجملاً إلى عالم الكرسي فيتفصل عنده، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢].

وبعد ذلك ينزل إلى عالم سدرة المنتهى، فيتفرع حيث ظهور أثره، وإلى سدرة المنتهى تنتهي أعمال العباد للاستخزان والاحتفاظ والبقاء فيها، وهذا لا يُعارض أنّ آثار الأعمال وأنوارها تصعد إلى العرش، كما ورد في التسبيح والتهليل والتكبير، أنهن ينعطفن حول العرش لهنَّ دويّ كدويّ النحل[2].

---

(١) ينظر شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١/ ٣٢٤).

(٢) كما في (سنن) ابن ماجه /٣٨٠٩/ و(المستدرك) (١/ ٥٠٠) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فالأعمال الصالحة تصعد إلى العرش، لكن مَخْزَنها ومستودعها في سدرة المنتهى، ففي سدرة المنتهى ترى جميع أفعال العباد وأقوالهم الصالحة.

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى انتهى أمر البراق، وعندها مقام جبريل عليه السلام، فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مَحَفّة من عالم العرش، حفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال لجبريل عليه السلام أن يذهب معه فقال: «لا أقدر ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾» [الصافات: ١٦٤].

وبقي جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى وجاوز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السدرة، كما روى ابن جرير وغيره: «أنَّ محفة أنزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي رواية: «ورفرفاً عالياً» حتى ارتقى إلى عالم

الجِنَان، وعاين جنة المأوى، كما جاء في (صحيح البخاري[1]): «ثُمَّ أُدخلتُ الجنَّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».

وقالِ الله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

فلمَّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عالم السِّدْرة تجلَّى الله على عالم السِّدْرة، وشاهد صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ جمال الله وتجلّياته ما يعجز أن يصفه واصف، حتى قال: «فَغشيها ألوان لا أدري ما هي»[2] يعني: لا أحصيها، وهي ألوان من الجمال والجلال الإلّهي.

وفي رواية مسلم[3]: «فلمَّا غَشِيها مِنْ أمْرِ الله ما

(١) /٣٤٩/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) /١٦٤/ عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

غَشِي تغيّرت، فَمَا أحد مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيْعُ أنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا».

واعلم أن التجلِّيات مستمرة دائماً على عالم السِّدرة، وهو سبب خشوع قلوب المؤمنين، لأنها مقر ومخزن أعمالهم الصالحة.

ولهذا ورد: «أنَّ في قصر كُلِّ مؤمن في الجنَّة غصناً ممتداً من عالم السِّدرة إلى ذلك القصر».

قال صلى الله عليه وآله وسلم «وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَار» أي: في أصل عالم السِّدرة «نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَأَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّة، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ».

فالظاهران ظهرا لنا؛ وإن كانا أيضاً في الجنَّة، فأصل النيل والفرات ينزل من هناك، وليس تنزله تنزلاً مائياً، لأن لكل منهما منبعاً معروفاً في الأرض، ولكن تنزّله إلى عالم الأرض بتطور وتنقّل، كما قال الله تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر: ٢١].

فالتنزيل يقتضي التدريج والتطوير، فخصوصية الشيء وحيويّته وبركته تتنزل من هناك، أمّا ذاته المائية فمعروف منبعها، ولو نزلت من هناك مباشرة لأخذت حكم البقاء.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ عُرِجَ بِيْ حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوىٰ أَسْمَعُ فيه صَرِيْفَ الأَقْلام»(١) والصريف هو: الصوت والصدىٰ.

والأقلام هي: أقلام القضاء والقدر، وأقلام الأحكام الإلٰهية التي تظهر آثارها في العوالم كلها.

وكان سماعه عليه الصلاة والسلام سماع صوتٍ وفهمٍ للمسموع، ومن هنا تَعلم أنَّ الله تعالى أطلعه بذلك على أسرار القضاء والقدر، ولهذا كان عليه

---

(١) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

الصلاة والسلام هو أعظم مَنْ فسَّر قضايا القضاء والقدر مِنَ المرسلين، لأنّه يَحكي عن شيءٍ عاينه وسمعه وفهمه، وأطلعه الله على حكمته.

واعلم أن هذه الأقلام ليست أقلاماً خشبيَّة أو حَجَريَّة، إنَّما هي أرواح ملكية تكتب بأمر الله تعالى.

ثم بعد ذلك قيل له: «فاهبطْ باسم الله»(١) فهبط إلى الحرم.

ولقد نال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التجلِّيات الإلهية عليه بالمكالمة والرؤيا، فقد جاء في (صحيح) البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾(٢) [النساء: ١٦٤] عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: «ثمَّ عُرِجَ به إلى السَّمَاء السَّابعَة، فَقَالوا لَهُ مثْلَ ذَلكَ، كل سَمَاء فيْهَا أَنْبِيَاء قَدْ

(١) كما في البخاري /٧٥١٧/ (١٣/ ٤٧٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) /٧٥١٧/ (١٣/٤٧٨).

سَمّاهم. ثم عَلا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى، حتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، ودَنا الجَبَّارُ ربّ العِزَّةِ فَتَدَلَّى، حتَّى كَانَ منْهُ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، فأَوْحَى الله فيْمَا أَوْحَى إليه خَمْسِيْنَ صَلاةً على أُمَّتِكَ كُلّ يَوم ولَيْلَةٍ».

وهذا لا ينافي أنَّه رأى جبريل على الحقيقة الجبريليّة.

ولم يكن مِنْ مقاصد المعراج رؤية الآيات الكونية فقط لَمَّا عُرج به صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماوات، ولو كان المقصود أن يُكشف له فقط عن عوالم السَّماوات السبع وما فيها لأراه تعالى إياها وهو في الأرض، وإنَّما هناك أمر عظيم لا يمكن أن يقع في الأرض، وهو رؤية الله تعالى، لأنَّ عالم الأرض عالم حادث مقيَّد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثانية :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

وقد كان الإسراء والمعراج في شهر رجب، لَمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكّة المُكرَّمة، ولقد ثبت الإسراء والمعراج بنصِّ القرآن الكريم، وكان ذلك بروحه وجسده صلى الله عليه وآله وسلم.

والبحث في الحِكَم والفوائد التي تعود على الأمَّة المحمَّديَّة من خلال إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله

وسلم هو أصل من أصول الدين، ولهذا ذكر ذلك سبْحانه في القرآن الكريم، حتى تكون فوائدها وما فيها تعمُّ هذه الأمة من أولها إلى آخرها، لأنَّ هذا القرآن باقٍ إلى أبد الآبدين.

أما ثبوت الإسراء فهو في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وأما ثبوت المعراج ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾

إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ـ ١٨].

افتتح سبحانه ذكر الإسراء بالتسبيح ﴿سُبْحَٰنَ﴾ ليبيِّن عظمة أمر الإسراء، وأنَّه لا يقدر على طيِّ المسافات الشاسعة في زمن يسير، ورؤيته صلى الله عليه وآله وسلم لتلك الآيات، واجتماعه مع الأنبياء كلِّهم في بيت المقدس، وصلاته بهم إماماً؛ لا يقدر على هذا إلا ربّ العالمين، الذي هو على كُلِّ شيءٍ قدير. سبحانه ما أعظم قدرته؟!!.

وهذا كما قال سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] يعني: أنَّ أمر الصباح والمساء، وتغيير نظام العالم، وإدخالهم في المساء والصَّباح، وإذهاب ظلمة اللَّيل، والإتيان بضوء النّهار. كل هذا أمر عظيم، يدلُّ على عظمة قدرته جل وعلا. فسبحانه وتعالى.

وكثيراً ما يفتتح سبحانه ذِكر مظاهر عظائم قدرته بالتسبيح: قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] وكذلك قوله سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ومِنَ الملكوت: روح الإنسان الَّتي بها قُوام جسمه، وهي ليست بيده، ولكن بيد الله سبحانه.

ثم إنَّ من أسرار افتتاحه سبحانه لأمر الإسراء بالتسبيح: ليبيِّن للسّالك الطريق إلى الله تعالى، وإلى التَّقَرب منه سبحانه: أنْ يصحب التسبيح دوماً، لأن الإسراء الذي ابتدأ ذكره سبحانه بالتسبيح كان مقدِّمة للمعراج، وكان نهاية المعراج أَنْ رَفَع سبحانه الحجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقرّبه إلى مقامٍ كلَّمه فيه، وتجلَّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا.

فعلى السالك أنْ يكون دائماً على تسبيح لله تعالى. أي: على تنزيه له سبحانه عمًّا لا يليق به، فلا تشبيه ولا تمثيل، ولا حدَّ ولا قيد له سبحانه.

كما اختتم سبحانه سورة الإسراء بالحمد والتكبير فقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

فهو سبحانه أعظم وأجلّ وأكبر ممّا سبّحه وحمده وكبَّره أحد من خلقه، فهو أكبر الأكبر، وله الكبرياء المطلق.

ومن حِكَم الإسراء والمعراج، أنه صلى الله عليه وآله وسلم كشف لنا عن العوالم الغيبية، وأخبرنا بما رآه وعاينه فيها، وهو أصدق خلق الله تعالى، فكان موقف كل مَنْ آمن به كأنَّه شاهد وعاين ما أخبره به صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يقال في اللغة: سار نهاراً، وسرى: إذا مشى ليلاً، فالله تعالى أسرى بعبده، أي: بقوة الله سرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ ولم يقل: بنبيّه أو برسوله، وذلك حتَّى يُبيِّن سبحانه أنّ مقام الإسراء والمعراج فيه مقام القرب الخاصّ لسيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فنال أعظم مقام في القرب الخاصّ النبوي، وإنَّ القرب يكون على حسب التحقق بالعبودية لربِّ العالمين، فعلى قدر تحقّقك بالعبوديَّة يكون قربك من حضرة الربوبيَّة.

ولمَّا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو أعظم مَنْ نال مقاماً في العبادة والعبوديَّة والعبدية لله تعالى ـ فهو سيِّد العِباد والعُبّاد ـ لذلك نال أعظم المقامات في القرب من حضرة ربِّ العالمين، لهذا قال تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ فقرَّبه بصفة العبوديَّة.

وقد قال أحد العارفين رضي الله عنهم في مناجاته لربه: يا رب بِمَ أتقرب إليك؟

فهُتِف: تقربْ إليّ بما ليس فيّ. أي: بصفة ليست فيّ.

فبحث عنها الشيخ فإذا هي الذل والانكسار. وهذا هو معنى العبوديَّة.

قال: طرقت باب الذُّل والإنكسار، ودخلت على الله، وتركت الناس على الأبواب. أي: لأنَّ هؤلاء واقفون مع أعمالهم وعباداتهم، ولم يصحبوها بالذل والخضوع لله تعالى.

فالقرب والدعوى لا يجتمعان، والذل والأنانية لا يجتمعان.

قوله تعالى: ﴿لَيۡلٗا﴾ مع أنَّه لا يُقال في اللغة سرى إلا إذا مشى بالليل، فلِمَ قال: ﴿لَيۡلٗا﴾ مع أنَّه مفهوم مِنْ ضِمْن قوله تعالى: ﴿أَسۡرَىٰ﴾؟.

فاعلم أنَّه ليس في القرآن فضول ولا تكرار، بل كلُّه أصول وإحكام. إنما قال تعالى: ﴿لَيۡلٗا﴾ بالتنكير ليدلَّ على التقليل. أي: في مدة يسيرة من الليل.

وإنَّما كان الأمر في الليل لأنّ الليل بالنسبة للنهار كالغيب بالنسبة لعالم الشهادة، ففي الليل تغيب الأشياء عنك، فلمَّا كان الإسراء والمعراج دخولاً في عالم غائب عن الناس كالسَّمَاوات وغيرها، ناسب ذلك أن يكون في الليل. كما أنّ في الليل تنزلات رب العالمين وتجلِّياته في الثلث الأول والثاني والأخير، ولأجل أنْ يكون إسراؤه صلى الله عليه وآله وسلم وعروجه إلى العوالم العلويَّة موافقاً لهذه التنزلات والتجلِّيات الإلٓهية؛ لذا كان الإسراء والمعراج في الليل.

ففي (الصحيحين)(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) (المسند) (٢/٢٦٤و٢٦٧) البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل /١١٤٥/ (٣/٢٩) =

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «يـنزل ـ وفي روايـة البخـاري: يَتَنَـزَّل»[1] ـ ربنا كل ليلة إلى السـماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر».

وفي رواية لمسـلم[2]: «حـيْنَ يَمْضِـي ثُلُـثُ اللَّيْـل الأوَّل» أي: ودخل الثلث الثاني.

وفي رواية لمسلم[2]: «إذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْل الأوَّل» وأكثر الرِّوايات: «حيْنَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيل الآخِرِ» وكل هذا ثابت.

وإنّ لله تنزلات في الثلث الأول والثاني والثالـث، ولكل تنزّل حكمه وآثاره وأسراره وأنواره.

«فيقول سُبْحَانَهُ: مَنْ يَدْعُونِي فأسْتَجيْبَ لـه؟ مَـنْ

= مسلم في كتاب صـلاة المسـافرين، بـاب الترغيـب في الدعاء والذكر في آخر الليل /٧٥٨/ (٢/٨٤٣).

(١) في كتاب الدعوات /٦٣٢١/ (١١/١٢٩).

(٢) /٧٥٨/.

يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَه؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه»؟

وعند مسلم: «ثمَّ يَقُول: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيْم ولاَ ظَلُوم»؟

وفي رواية لأحمد[1]: «مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَه، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكشِفَهُ عَنْه. حَتَّى يَنْفَجِرَ الصّبْحُ».

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو موضع مهبط النبوَّات، ففي طيّ هذه المسافات طَيٌّ لمقامات الأنبياء مجتمعة له صلى الله عليه وآله وسلم، وزاد عليهم بالمقام المحمَّدي الخاص به صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: باركنا فيه وباركنا حوله.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ وليست هي الأحجار والجبال

---

(١) (٥١٢/٢).

والوديان والجدران، بل هي الآيات الكبرى الَّتي لا يستطيع أحد أن يراها بقوَّة بصره، أو يَسمعها بقوَّة سمعه... بل إن الله السميع البصير سَمَّع سيِّدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأراه من تلك الآيات ما شاء له سبحانه. فالأمر بقوّةٍ من الله تعالى.

ومن هذا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ عُرج بِي حتَّى ظَهَرْتُ لمُسْتَوى أسْمَعُ فِيْه صَرِيْفَ الأقْلام»[1] أي: سماع فَهْم واطلاع، ودراية وتلذّذ.

ومما يدل على أنّ الإسراء كان بجسمه وروحه صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ونظير هذا ما قاله تعالى لموسى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الدخان: ٣٣] أي: بأجسامهم وأرواحهم.

ثم إن كلمة العبد تطلق على الإنسان بجسمه وروحه.

---

(١) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

ولو كان الإسراء والمعراج بالروح لَمَا أنكرت كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، إذ يمكن للإنسان أن يرى في منامه أموراً وأموراً.

لكنهم أنكروا واعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا أخبرهم أَنَّه أُسري به وعُرِج، حتَّى إنَّهم طالبوه بالدليل، لذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قمْتُ في الحِجْر، فَجَلَّى الله لي بَيْتَ المَقْدِسِ» لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يمرّ به حتى يشاهد جدرانه، وساحات ونوافذ بيت المقدس، بل الأمر أجلّ وأعظم «فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُم عَنْ آيَاتِه وأَنَا أَنْظُرُ إليه»[1].

وممَّا يدل على أنَّ الإسراء والمعراج كان بالجسم

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء /٣٨٨٦/ (١٩٦/٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

والـروح، مـا رواه أبـو نعـيم في (دلائـل النبـوَّة)[1] أنَّ أبا سفيانِ قال لِهرقل: أيها الملكِ ألا أخبرك خبراً تعرف أنَّه قد كذب؟ قال: وما هو؟

قال: إنَّه يَزْعُم لنَا أنَّه خَرَج من أرْضِنَا أرض الحَـرَم في ليْلَة، فَجَاء مَسْجِدكم هَذا مَسْجِد إيليا، ورَجَع إليْنَـا تلْكَ اللَّيْلَة.

فقال بِطْرِيْقُ إيليا: قَدْ عَلِمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَة.

قال: فنظر إليه قَيْصَر وقال: ومَا عِلْمُكَ بهذا؟

قـال: إني كُنـت لا أنـام لَيلـة حـتى أُغلـق أبـواب المسجد، فلما كانت تلك اللَّيلة أغلقت الأبواب إلاَّ باباً واحداً غلبني، فاستعنت عليه بعمّـالي وَمَـنْ يَحضـرني كُلّهم فعالجته فغلبنا، فلم نستطع أن نحركه كأنَّما نُزَاوِلُ به جبلاً، فدعوت إليه النجاجرة فنظروا إليـه فقـالوا: إنَّ

---

(١) كمـا في تفسـير ابـن كـثير (٣/ ٢٣) و(الـدر المنثـور) (٥/ ٢٢٥) والخصائص للحافظ السيوطي (١/ ١٧٠).

هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان، ولا نستطيع أن نحرِّكه حتى نصبح فننظر من أين أُتِيَ.

قال: فرجعت وتركت البابين مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما، فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب، وإذا فيه أثر مَربط لدابة. قال: فقلت لأصحابي: ما حُبِسَ هذا الباب اللَّيلة إلاَّ على نبي، وقد صلَّى اللَّيلة في مسجدنا.

ولقد اجتمعت الأنبياء كلهم في بيت المقدس ينتظرون قدومه صلى الله عليه وآله وسلم، فلمَّا جاء ودخل أذّن جبريل عليه السلام، فقاموا ينتظرون إماماً، فجاء جبريل فقدمه صلى الله عليه وآله وسلم فأمَّهم (١). والملائكة لا يفعلون شيئاً إلا بأمر الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

---

(١) ينظر (صحيح) مسلم /١٧٢/ عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه و (مجمع الزوائد) (١/٧٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم إمامهم في الدنيا وفي الآخرة، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النَّبيِّين وصاحب شفاعتهم»[1].

ثم عُرِج به صلى الله عليه وآله وسلم إلى السَّماوات كما في (الصحيحين)[2] عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، أنَّ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم حدَّثهم عن ليلة أسري به: «بَيْنَمَا أَنَا في الْحَطِيم ـ وَرُبَّمَا قَالَ: في الْحِجْر ـ إِذْ أَتَاني آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِه ـ أي: منْ ثغرة نحره إلى سرته الشريفة ـ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا ـ أي: وهو الإيمان المحمدي الخاص، والذهب من ذهب عالم آخر برزخي ـ فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ

---

(١) الحديث في (المسند) (١٣٨/١٣٧/٥) و (سنن) الترمذي /٣٦١٧/ عن سيدنا أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه.

(٢) البخاري /٣٨٨٧/ مسلم /١٦٤/.

وَفَوْقَ الْحِمَارِ، أَبْيَضَ ـ أي: من عالم البرزخ ـ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِه ـ أي: ولذلك اسمه براق، لأنَّه أسرع من البرق ـ فَحُمِلْتُ عَلَيْه، فَانْطَلَقَ بِي جبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاء الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِل إلَيْه؟ ـ أي: دعاه الله إليه ـ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً به فَنعْمَ الْمَجِيء جَاء. فَفَتَحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإذَا فيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالح وَالنَّبِيِّ الصَّالح ـ أي: الصالح لهذا المقام الخاص ـ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ»

وهكذا رأى صلى الله عليه وآله وسلم عيسى ويحيى عليهما السلام، وسلَّم عليهما، ثم السماء الثالثة وفيها سيدنا يوسف عليه السلام، ثم السَّماء الرابعة وفيها إدريس عليه السلام، ثم السَّماء الخامسة وفيها هارون عليه السلام .

وإنَّ في قوله: «ثمَّ» دليل على انقضاء مدَّة في كل سماء، وفيها ترحيب أهل كل سماء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واطِّلاعه على ما فيها من خصائص وهكذا.

وفي السَّماء السَّادسة رأى موسى عليه السلام، ولما جاوزه صلى الله عليه وآله وسلم بكى بكاء فرح. «قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأنَّ غلاماً ـ أي: شاباً ـ بُعِث بعدي يدخل الجنَّة من أمَّته أكثر ممن يدخلها من أمتي».

وفترة بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وجيزة في الدُّنيا، ولذلك فإنّ أهل الجنَّة مائة وعشرون صفَّاً، ثمانون صفَّاً من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والبقية من بقية الأمم[1].

---

(١) كما في (المسند) (٥/٣٤٧ و٣٥٥ و٣٦١) والترمذي /٢٥٤٩/ عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

ثم رأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام.

وجـاء في (سـنن) الترمـذي[1] أن إبـراهيم عليـه السـلام قـال: «يـا مُحَمَّـد أقْـرِئْ أمَّتَـك منِّـي السَّـلام، وأخْبِـرْهُم أنَّ الجنَّـة طَيِّبَـة التُّربَـة، عَذْبَـة المَـاء، وأنَّهَـا قِيْعَانٌ، وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَان الله، والحَمْدُ لله، ولا إلـه إلاَّ الله، والله أكْبَر».

ونحن نجيب السلام فنقـول: علـى سـيدنا محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى سـيدنا إبـراهيم أفضـل الصلاة والسلام، لأنَّه يجـب إشـراك مَـنْ أوصـل إلينـا السلام بالسلام، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم الذي بَلَّغنا سلام إبراهيم عليه السـلام، ولـولا أنَّ الخليل يُحبنا لَمَا أرسل لنا هذا البشارة مع سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويجب على المؤمن أن يكثـر مـن هـذه الصـيغة[2] خاصة في شهر رجب.

---

(١) /٣٤٥٨/ عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

ثم رُفع له صلى الله عليه وآله وسلم البيت المعمور، وأنَّه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، والبيت المعمور هو قبلة أهل السماء السابعة، وهو مع الكعبة المشرفة على خط مستقيم واحد، والملائكة يدخلون إليه ليصلّوا فيه، ولا يتاح لهم الفرصة للدخول مرَّة أخرى، بل إنَّ الدور لغيرهم.

ثم رُفِعَ صلى الله عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى، وهي محيطة بالسماء السابعة، عندها تنتهي الأمور، وتحطّ عندها الأوامر الإلّهية، ومنها تنزل إلى العوالم، فهي موضع التوزيع.

وعندها مقام جبريل عليه السلام، وعندها تجلّى الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالتجلّي النوراني الأعظم، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم(١): «فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْق الله يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا».

---

(١) /١٦٢/ عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وقد تجمعت الملائكة كلّهم على أوراق سدرة المنتهى[1]، ينظرون إلى جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ وجهه الشريف هو مشرق أنوار الله تعالى، وفيه مجالي أنوار حضرة ربّ العزّة سبحانه.

ولقد تجلّى عليه ربّ العزّة بالرؤية، قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

---

(١) ينظر (الدر المنثور) للحافظ السيوطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

المحاضرة الثالثة :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ من جملة متطلبات الإيمان: الاعتقاد بإسراء النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعراجه، لأنّهما ثبتا بنصّ القرآن الكريم، وبالأحاديث المتواترة عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تقدم البحث حول ثبوت الإسراء بنص الكتاب، وأمّا ثبوت المعراج فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا
هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ
﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ
فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا

كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ـ١٨].

فقد دلَّت هذه الآيات نصاً على عروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه وروحه إلى السَّماوات السبع، ثم إلى سدرة المنتهى، وعالم الجنَّة، ثم إلى عالم سمع فيه صريف الأقلام، ثم إلى ما هنالك من عوالم وعوالم.

ولقد افتتح سبحانه السورة بالنجم، ثم ذكر صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمانته ووفاءه، ثم ذكر عُرُوجه ورؤيته للحقيقة الجبريليَّة، ثم ذكر تجلّي ربِّ العزَّة عليه عند سِدرة المنتهى.

ولقد أقسم سبحانه بالنجم إذا هوى، والمراد: جنس النجوم، وهي النجوم السيَّارة التي تسير في أفلاكها الَّتي أوقعَها الله فيها، تسير بسرعة فائقة.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي: أسرع في حركته.

وما الحكمة في هذا القَسم ومناسبة ذلك للآيات الَّتي بعده؟ نعم إنَّ الله تعالى الذي سيّر هذه النجوم على عِظم جسمها، وكِبَرِ حجمها، بهذه السرعة الفائقة، مع حِفْظِ نظامها وجرمها عليها، لَهُوَ قادر سبحانه على أن يَعرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك المعارج العالية، ويطوي به تلك المسافات البعيدة في مدّة يسيرة، مع حفظ جسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونظامه وهيكله، وبصره وسمعه وقواه. فهذه آيات وشواهد تمهد لأمر المعراج.

ومن ناحية ثانية: افتتح سبحانه ذكر المعراج بهذا القسم لصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمانته وهديه.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ومن المعلوم أنَّ النجوم يُهتدىٰ بها في ظلمات البرّ والبحر، كما قال

تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: بل هو على الهدى والرشاد.

فإذا كانت هذه النجوم تَهتدون بها في ظلمات البرّ والبحر، فهناك النجم الذي هو أنْور النجوم، والذي جَمع نُجوم القرآن كلها، وجاء بنور جامع أقوى من الأنوار كلها، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنَّ العالم أحوج إليه من حاجتهم إلى هذه النجوم السّماويَّة، لذلك قال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي: بل هو على الهدى والرشاد، ومنه الهدى والرشاد.

قوله تعالى: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ والخطاب لقريش وغيرهم مِمَّن عرفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدقه وأمانته، فهو نشأ وتربَّى بينهم، وعرفوه بالصدق والأمانة، والعفَّة والنزاهة والوفاء.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي: المعروف عندكم، لم

يضل باعترافكم، فلم تعثروا له على ضلالة أو غواية أو زلَّة أو خيانة، وهذا إلزام لهم بالحجة، لأنَّه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم باعترافهم، وأنَّه ما ضلَّ وما غوى باعترافهم، وما دام كذلك فكيف به إذا بلغ الأربعين من عمره أيفتري الكذب على الله ؟!! فهذا لا يتصور.

فلما قال لكم: قال الله تعالى، فلقد قال حقاً، لأنَّه لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ ولأنَّه هو الصادق الأمين، ولم يكذب على إنسان، فكيف يكذب على ربِّ النَّاس؟!!

فما جرّبوا عليه إلا الصدق والأمانة باعترافهم، فكيف بعد ذلك يفتري الكذب على الله، أيصح هذا في عقولكم؟!!

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: ما ينطق عن هوى النفس، ولا دواعي النفس، ولا عن الأهواء

المخالفة، إنَّما ينطِق بالحِكَم العالية. وما منطقه بذلك إلا عن ربِّ العالمين.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي: ما منطقه بالقرآن؛ ولا نطقه بالأحاديث إلا بوحي من الله تعالى، فهناك الوحي القرآني، وهناك الوحي النبوي، وكلٌّ من عند الله تعالى. كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه»[1] أي: وحياً، وهي أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحديث عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ ـ أي: مِنْ

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد (١٣١/٤) وأبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة /٤٦٠٤/ (١٠/٥) عن سيدنا المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

رَسُولِ الله ـ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا!! ـ أي: قد يُخْرِجُه الغضب عن حدّ الاعتدال في كلامه ـ.

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه ـ أي: فمه ـ فَقَالَ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ»[1].

وفي رواية الدارمي[2]: فقال: «اُكْتُبْ فوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه مَا خَرَجَ منه إلا حقّ».

فهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يتكلم إلا بالحقِّ، ولا يخرج من فمه الشريف إلا الحقُّ؛ في جميع أحواله، في الغضب والرضا، والحرب والسلم، والصحة والمرض، وهكذا. لأنه معصوم بعصمة الله تعالى.

---

(١) رواه الإمام أبو داود في كتاب العلم، باب كتاب العلم /٣٦٤٦/ (٤/ ٦٠).

(٢) (١/ ١٢٥).

وإذا قيل: إنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: بالقرآن.

فيقال: إنَّه سبحانه لم يقل: وما يقرأ عن الهوى، أو ما يتلو عن الهوى، حتَّى نقول هذا بخصوص القرآن الكريم. ولو أراد القرآن لقال: وما يتلو، كما قال تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢] أو وما يقرأ، كما قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، بل قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ فالنطق أعمّ، ويشمل النطق بالقرآن، والنطق بالحديث. وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، فلا تخرجه عن اللسان العربي المبين لمرضٍ في قلبك أو اتباع هوى.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي: أنَّ واسطة تعليمه صلى الله عليه وآله وسلم عن ربِّ العالمين، إنَّما هو جبريل الأمين، الذي وصفه الله تعالى بأنَّه شديد القوى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: حصافة وذكاء وهو جبريل عليه

السلام ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: ظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأفق العالي ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا﴾ أي: جبريل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: تقرَّب منه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ فَأَوۡحَىٰٓ﴾ أي: رب العالمين ﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ أي: أوحى الله تعالى بواسطة جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ أي: أن فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مُصدِّق لِمَا تراه عيناه، ويعلم أن هذا هو جبريل بالحقيقة الجبريلية، وهذا لمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل على الصورة الحقيقية الجبريلية، في بطحاء مكة في بدء النُّبوَّة، كما جاء في الحديث: فرأى جبريل بين السَّماء والأرض، وله ستمائة جناح، كُلّ جناح منها قد سدَّ ما بين السَّماء والأرض[1].

---

(١) ينظر (المسند) (١/ ٣٩٤ و٣٩٥) عن سيدنا عبد الله بن =

فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشك أو يرتاب في أن هذا هو جبريل عليه السلام، ولم يتغير فؤاده صلى الله عليه وآله وسلم فيما تراه عيناه، كما قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: أفتجادلون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما رأى وما يَرىٰ، وإذا كنتم لا ترون فلا تنكروا على مَنْ يرى وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يرى، ما لا ترون، ويسمع ما لا تسمعون، فلا تخالفوه ولا تجادلوه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل مرَّة ثانية ليلة المعراج، حين وصل إلى سدرة المنتهى، رآه على الحقيقة الجبريلية

= مسعود رضي الله عنه، والبخاري /٣٢٣٨/ عن سيدنا جابر رضي الله عنه، ومسلم /١٧٧/ عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

المَلَكِيَّة، أما في كثير من الأحيان فكان ينزل بصورة رجل، أو بصورةٍ مَلكية أخرى.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ وهذا فوق السَّماء السابعة. أي: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه وروحه عند سدرة المنتهى، عندها جنّة المأوى، وهناك رأى جبريل على صورته الجبريلية، وهذا نصّ صريح على أنَّ جسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصل إلى ذلك الموضع، ورأى جبريل عليه السلام.

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ هذه الآيات تشير إلى تجلّي الحقّ سبحانه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا. والسدرة عالم كبير محيط بالسَّماء السابعة، ينتهي إليها ما دونها، ويَحطّ عندها ما فوقها من الأوامر الإلّهية، ثم منها تتوزع في العوالم على حسب تلك الأوامر وما يتعلق بها.

وسُميت سِدْرة لأنها على هيئة الشجرة الضخمة الكبيرة، وقد وصفها صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «فإذا نبقها مثل قلال هجر» أي: ثمراتها كالخابية الكبيرة من خابيات هجر، وهجر: اسم بلد. «وإذا ورقها مثل آذان الفيلة»[1].

وجاء في تفسير البغوي: وقال الحسن: غشيها نور ربِّ العالمين فاستنارت، وقال الضَّحاك: غشيها نور ربّ العالمين.

والمعنى: واذكر يا رسول الله لَمّا تجلَّى الله تعالى عليك بالرؤيا عند سدرة المنتهى، وغشيتها وغطتها وقتئذ أنوار رب العالمين.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «فلمَّا غشيها من أمر الله ما غشي تَغَيَّرَتْ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»[2] وهذا هو التجلِّي النوراني الأعظم.

---

(١) البخاري: /٣٨٨٧/.

(٢) صحيح مسلم /١٦٢/.

وقد روى مسلم في صحيحه[1] عن عبد الله بن شقيق قال: قلت: لأبي ذر رضي الله عنه، لو رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسألتُه.

فقال: عن أي شيءٍ كُنْتَ تسأله؟

قال: كنت أسأله: هل رأيتَ ربَّك؟

قال أبو ذر رضي الله عنه: قد سألتُ فقال: «رأيت نوراً» أي: تجلَّى عليَّ بالنور الأعظم، ولم يقل: ما رأيته، فافهم.

وفي رواية (للمسند)[2]: «قد رأيته نوراً أنَّى أراه» أي: بنوره رآه سبحانه، ولا يرى الإنسان ربه إلاَّ بنوره جلَّ وعلا.

---

(١) في كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نور أنى أراه» وفي قوله: «رأيت نوراً» /١٧٨/ (٣٤٦/١).

(٢) (١٤٧/٥).

كما قيل:

إذا تجلَّى حبيبي بأي نور أراه

بنوره لا بنوري فما يُريك سواه

كما لو أردت أن ترى الشمس ـ بلا تشبيه ـ فأيّ نور يريك الشمس؟ نعم بنورها، فإذا لم تُشرق أنوارها عليك ما تراها، ولا يمكن أن ترى ربّ العزَّة إلا بأنواره جلَّ وعلا.

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نوراً أنَّى أراه»(1).

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: لما تجلَّى ربّ العالمين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنور الأعظم، ورأى ربَّه بعيني رأسه، لم يزغ بصره صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يطْغَ، أي: لم يَحَرْ فما

---

(1) كما في (المسند) (٥/١٧١و١٧٥) و(صحيح) مسلم /١٧٨/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

مال يميناً ولا شمالاً، ولم يُجاوز المنظور إليه، ولم يُصعق كما حَدَث لموسى عليه السلام لمَّا تجلَّى ربُّه على جبل الطور.

فلَّما تجلَّى ربّ العالمين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند عالم السدرة، وهو العالم الذي انطوت فيه السَّماوات السبع والأرضين السبع، وهذا التجلِّي أكبر وأعظم من التجلِّي لموسى عليه السلام على جبل الطور فقط، ومع ذلك ما زاغ بصره صلى الله عليه وآله وسلم وما طغى. أي: من باب أولى ما صعق، بل ثبت وبقي بقوة ومدد من الله تعالى.

فلقد أراه الله تعالى الآيات الكبرى، ولقد تجلَّى ربُّ الآيات عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا فرأى ربَّ العالمين.

ولقد استأذنت الملائكة ربّها أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عالم السِّدرة، فأذن

لها[1]، وكلهم، رأوا جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمَّا تجلَّى عليه ربُّ العالمين.

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السَّماوات وأبوابها وملائكتها، ورأى عالم السِّدرة، ورأى عالم الكرسي، ورأى عالم الأقلام وسمع صريفها.

ولقد كان معراجه إلى السماوات من باب مُعَيّن، وهو الباب المسامت لقبّة الصخرة في بيت المقدس، وهذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاستفتح جبريل» أي: ذلك الباب المخصص لعروجه ودخوله فيه، وهذا يدلُّ على أن السَّماوات محجوبة لا يدخلها أحد إلا بإذن الله تعالى، وأنَّ لها أبواباً لا تُفتح إلا لمن أذِن الله تعالى له بالدخول.

وقد بيَّن سبحانه أنّ الكفار لا يُمكن أن يدخلوا

(١) عزاه في (الدر المنثور) (٧/ ٦٥١) إلى عَبْد بن حميد.

السَّماوات لا جسماً ولا روحاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ الآية [الأعراف: ٤٠].

وقد جاء في الأحاديث أنَّ الملائكة تعرج بروح المؤمن إلى السَّماوات، وتستفتح لها، وتستقبلها أهل السماوات، حتى يلقى ربه وهو عنه راض. ثم يأمر الله تعالى برده إلى مقامه في عالم البرزخ.

وأمَّا الكافر فإنَّ أهل السَّماء يَردّون روحه، ولا تُفتح له أبواب السَّماء، ويقال: ردوه أسفل سافلين(١). وإذا كانت روح الكافر لا يمْكن أن تدخل السَّماء فَمِنْ باب أولى جسمه.

---

(١) ينظر الحديث في (المسند) للإمام أحمد (٤/٢٨٧) ومسند الطيالسي (١٠٢) و(سنن) أبي داود في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر /٤٧٥٣/ (٥/١١٤) وغيرهم عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه.

وأما هذه الشمس والكواكب والنجوم فهي دون السَّماء الدنيا، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ أي: في جهة السَّماء ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في جهتها ﴿سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [تبارك: ٥] وإن الزينة والمصابيح لا توضع فوق السقف ولكن تحته. فافهم. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وروى البيهقي[(١)]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدَّثهم عن ليلة أسريَ به فقال: «صَعدتُ أنا وجبْرِيل إلى السَّماء الدُّنْيَا، فإذا أنَا بملَكٍ يُقَالُ لَهُ: إسمَاعِيل، وهُوَ صَاحبُ

(١) في (دلائل النُّبوَّة) (٢/ ٣٩٠).

سَمَاء الدُّنْيَا، وبَيْنَ يَدَيْه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، مَع كُلِّ مَلَكٍ جنده مَائَةُ أَلْف ملك» وتَلا هذه الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣٩].

ولقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم ملائكة في السَّماء طول أحدهم ألف سنة، ليس لهم يمين ولا شمال. أي: لا أوَّل ليمينهم ولا آخر لشمالهم. ولقد حدّث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حملة العرش فقال: «أُذِنَ لي أنْ أحَدِّث عن ملك من ملائكة الله مِنْ حملة العرش، إنّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام»[١].

وإن جبريل عليه السلام اقتلع خمس مدائن من مدائن قوم لوط بريشة واحدة من ستمائة جناح له[٢].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة /٤٧٢٧/ (٩٦/٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٢) ينظر (الدر المنثور) عند تفسير الآية /٨٢/ من سورة هود.

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش وقوائمه وقال: «يَا أَبَا ذَرّ: مَا السَّمَاوَات السَّبْعُ مَع الكُرْسِي، إلاَّ كَحَلَقَة مُلْقَاة في أَرْضٍ فَلاة، وفَضْلُ العَرْشِ على الكُرسيِ كَفَضْلِ الفَلاة على الحَلَقَة»[1].

وفي الحديث: «مَررتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي برَجُلٍ مُغَيَّبٍ فِي نُورِ العَرْشِ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ أَهَذَا مَلَكٌ؟ قِيلَ: لا. قُلْتُ: نَبِي؟ قِيلَ: لا. قُلتُ: مَنْ هُوَ؟.

قال: هذا رَجُلٌ كَانَ في الدُّنْيَا لسَانُه رَطبٌ مِنْ ذِكْرِ الله، وقَلْبُه مُعَلّقٌ بالمَسَاجد، ولمْ يَسْتَسِبَّ لوالدَيْه»[2]

---

(١) طرف من حديث طويل رواه ابن حبان في (صحيحه) /٣٦٢/ (١/٢٨٨) وعزاه في (الدر المنثور) (٢/١٧) إلى البيهقي في (الأسماء والصِّفات) وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مَرْدُويَه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) ص /٣٨/ رقم /٩٥/ مرسلاً، وعنه (الترغيب) للحافظ المنذري /٢٢٠٢/ وأورده الحافظ ابن رجب الحنبلي في (جامع العلوم والحكم) (١/٤٤٥).

أي: لم يعمل شراً مع النّاس حتى يسبّوا لوالديه.

ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنَّة والنَّار كما قال: «ثمَّ أُدْخِلْتُ الجنَّة فإذا فِيْهَا جَنَابِذ اللؤلؤ» وهي التي تبنى منها القصور «وإذا تُرَابُهَا المِسك»[1].

كما أطلعه الله على النَّار وأهلها. وإن كانتْ هي في سجّين في أسفل سافلين، لكنه وقف موقفاً في علوّه وعليائه فكشف الله تعالى له عن النَّار وهي في أسفل السافلين. فقال: «وقُمْتُ على بَاب النَّار فإذا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَها النِّسَاءُ»[2].

وفي حديث آخر: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ».

قِيلَ: أيكفُرْنَ باللَّه.

قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإحْسَانَ، لَوْ

---

(١) البخاري: /٣٤٩/.

(٢) البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار /٦٥٤٧/ (٤١٥/١١) عن سيدنا أسامة رضي الله عنه.

أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[1].

وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم المرأة بالصدقة من مالها [2]، لا من مال زوجها، لأنَّ الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النَّار، ولا يحقّ للمرأة أن تتصدَّق بمال زوجها إلاَّ بإذنه صراحة أو دلالة.

وهناك من النساء من امتدحهن الله تعالى وأثنى عليهن بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ

---

(١) في البخاري كتاب الإيمان، باب كفران العشير /٢٩/ (١/ ٨٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر البخاري في كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن /٩٨/ (١/ ١٩٢)، ومسلم في أول كتاب العيدين، عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملأ الأعلى كما في الحديث: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بالمَلأ الأعلى» أي: حملة العرش ومن حوله «وجبريل كالحلس البَالي مِنْ خَشْيَةِ الله»[1] أي: الثوب البالي، مع أن جبريل في حقيقته له ستمائة جناح، لكنه في موقف الخشية من الله تعالى كالحلس البالي. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

كما لقي صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء وتحدث معهم، كما في (مسند) الإمام أحمد[2]، عن ابن

---

(١) رواه الطبراني في (الأوسط) (مجمع الزوائد) (١/٧٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) (١/٣٧٥).

مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَقِيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيْمَ ومُوسَى وعِيْسَى».

قال: «فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردُّوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردُّوا الأمر إلى عيسى فقال: أمّا وَجْبَتُها فلا يعلمها أحد إلاَّ الله، وفيما عهد إليَّ ربي عزَّ وجلَّ أن الدَّجال خارج. قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص».

وإنَّما كان عيسى عليه السلام في السَّماء الثانية لأن قضية الساعة وأشراطها إنَّما هي من السماء الثانية، وذلك لأنَّ الله تعالى خصّ كلَّ سَماء بخصائص وأوامر كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الآية [فصلت: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فسيدنا

عيسى عليه السلام هو في السَّماء الثانية، يُعلّمه الله أحوال وأشراط الساعةِ، فلمَّا ينزل آخر الزَّمن ينزل على عِلْمٍ بما سيجري، ومن الجملة أخبر عن ظهور الدَّجال وهكذا.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم[1]: «لَمَا فَرَغْتُ ممَّا أَمَرَنِي به الله مِنْ أمْر السَّمَاوات والأرض قُلْتُ: يا رَبِّ إنَّه لَمْ يكُنْ نَبِيٌّ قَبْلي إلاَّ وَقَدْ كَرَّمْتَه، اتَّخَذْتَ إبْرَاهيْم خَلِيْلاً، ومُوسَى كَلِيْمَاً، وسَخَّرْتَ لِدَاودَ الجِبَالَ، ولسُلَيْمَان الرِّيْحَ والشَّيَاطِيْنَ، وأَحْيَيْتَ لعيْسَى المَوْتَى، فَمَا جَعَلْتَ لي؟

قال: أوليْسَ قَدْ أَعْطَيْتُكَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلك كُلّه، أنْ لاَ أُذْكَر إلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي» أي: رَفعت مقامك فوق كل

(١) عزاه في تفسير ابن كثير (٤/٥٢٥) و(الدر المنثور) (٨/٥٤٩) إلى أبي نعيم في (الدلائل) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

المقامات، ورفعت ذكرك فوق كلِّ مذكور، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وما دام ذكره صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعاً فوق كلِّ ذكر فكيف هو صلى الله عليه وآله وسلم؟!!! .

«وجَعَلْتُ صُدُورَ أُمَّتِكَ أَنَاجِيْلَ» أي: مصاحف «يَقْرَؤونَ القُرْآنِ ظَاهِراً» أي: عن ظهر قلب إكراماً لك «ولمْ أُعْطِهَا أُمَّةً، وأَعْطَيْتُكَ كَنْزاً مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي» أي: كنزته منذ خلقت العرش، وأودعت فيه هذا السرَّ «لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله العليِّ العَظِيْم» وهي المرتبة الخامسة من مراتب التوحيد.

وإنَّ مِنْ جملة الحِكَم في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم، واطِّلاعه ورؤيته للعوالم الغيبية، إنَّ في ذلك قُوَّةً في إقامة الحجة والبرهان على صدقه صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الإيمان بتلك العوالم، فقد أخبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم ورآها، ولم

يُخْبِرْ عن وجودها فقط، بل إنَّه رآهـا، وهـذا أقـوى في إلزام الحجة والبرهان، لأنَّـه أصـدق خلـق الله تعـالى، وأعلمهم وأزكاهم وأتقاهم، فقد ذهـب ورأى واطَّلـع، ثم أخبر بما رأى، فكأن كل قومه رأوا ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلـى آلـه وصـحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

المحاضرة الرابعة :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمِن الحكم المترتبة على الإسراء والمعراج قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

فما هي هذه الآيات التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما هي الفوائد والعوائد التي تعود على أمته من إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم؟.

فاعلم أنَّ رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلك الآيات الكبرى فيه بيان فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي خصَّه الله تعالى بالمعراج الجسماني والروحاني، وأعطاه قوة خاصة في ذاته

وذراته، وروحه وعقله ومداركه، وسمعه وبصره، حتى سمع ورأى وشاهد تلك الآيات الكبرى، بل حتى رأى ربّ العالمين جلَّ وعلا، ففي ذلك بيانٌ لفضله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الرسل عليهم السلام، وفيه فوائد عائدة لأمته صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أنْ يكونوا على يقين من تلك الأمور الغيبية التي أُمِروا أنْ يؤمنوا بها، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عاين تلك الأمور والعوالم الغيبية، فلقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم السَّماوت وما فيها، ورأى البيت المعمور، ورأى سدرة المنتهى، ورأى عالم الأقلام التي تجري بأحكام القضاء والقدر، وسمع صريفها، ورأى الجنَّة والنار، وشاهد حملة العرش، والملأ الأعلى، واطَّلع على حال أهل البرزخ، وألوان النعيم في الجنَّة، واطلع على عذاب أهل النَّار من العصاة، والزناة، وأكلة الربا، والنَّمَّامين، والمغتابين، والمفسدين ... هذا كله حتى يكون المؤمن على يقين من هذه الأمور.

إذ إنَّ الله تعالى أمرنا أنْ نؤمن بهذا كله، إلا أنَّنا لم نُعاين ذلك، لكن الذي ذهب وعاين ورأى تلك العوالم، وأخبرنا عنها جملة وتفصيلاً، هو أصدق خلق الله تعالى، وأعلم خلق الله تعالى، وأتقى خلق الله تعالى، فكانت رؤيته لتلك العوالم أقوى من رؤيتنا لو أنَّنا رأينا، فيجب عندئذ أن يكون إيماننا بتلك العوالم أقوى وأشد.

وإذا قيل: مَنِ الذي ذهب وعاين الجنَّة والنَّار، ورأى تلك العوالم الغيبيَّة، حتى إنَّه رأى ربَّه بعيني بصره؟

يقال: هذا الذي ذهب هو أعقل العالمين، وأصدقهم، وأزكاهم، وأطيبهم، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ذهب وعاين تلك العوالم الغيبيَّة، وجاء وأخبرنا، وهذا أعظم مِنْ رؤيتك لأنَّه أعظم منك في الفهم والعلم، والصدق والأمانة

والوفاء، بل أعظم خلـق الله تعـالى، فمـا عليـك إلاّ أن تزداد يقيناً وإيماناً.

وعلى هذا: فَمن جملة حِكَمِ الإسراء والمعراج أنْ تكونَ هذه الأمَّة عِلى يقين مـن إيمانهـا، وكأنهـا عاينتـه وشاهدته، لأنّ رسولها صلى الله عليه وآله وسلم شاهد وسمع. وكفى بذلك معاينة.

وفي قولــه تعــالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ تنبيه على أنَّ تلك الآيات الَّتي رآها سيِّدنا محمد صـلى الله عليه وآله وسلم هي آيات كبرى، ولا يستطيع أحـد أن يَشهدها أو يراها إلا بتخصيص مـن الله تعـالى الـذي خصَّ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

ومهما شاهد الإنسان من آيات الله تعالى كالشمس والقمر، والبحار وغيرهـا، لكنَّهـا مَهمـا عظمـت فهـي آيات صغرى بالنسبة لتلك الآيـات الكـبرى الَّـتي رآهـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جملة تلك الآيات الكبرى: السَّماوات السبع فلقد شاهدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل فيها واحدة بعد واحدة، ورأى ملائكتها.

وإنَّ لكل سماء أبواباً، وإنها طباق، وليست السَّماوات السَّبع هي النجوم السبعة، إذ ليست هذه النجوم طباقاً فوق بعضها، كما أنّ للسماوات أبواباً «فاستفتح جبريل» وليس للنجوم أبواباً.

وإن جميع النجوم والشمس والقمر دون السَّماء الأولى، فهي زينة ومصابيح، ورجوم للشياطين، كما بيَّن ذلك سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، إذ إنّ الملائكة تأخذ شُهُباً من تلك الكواكب، وتقذف بها شياطين الجنِّ الذين يحاولون استراق السمع من ملائكة السَّماء الأولى.

ولو كانت النجوم فوق السَّماء ـ يعني: أنّ الجني دخل السَّماء وسمع الوحي واسترق السمع ـ فما فائدة رجمه وقذفه بالشهب عندئذ؟! إذ إن الملائكة يقذفون

الجني بالشهب لمّا يحاول الاقتراب من السَّماء واستراق السمع منها.

وإن أشرف وأعظم وأفضل أبواب السَّماوات هو الباب الذي دخل فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة معراجه. فهناك أبواب في السَّماوات تتنزل فيها الملائكة وتصعد، كما روى مسلم في (صحيحه)[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ سَمِعَ نَقِيضاً ـ أي: صوتاً ـ مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ، وَقَالَ: ـ أي: للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ،

---

(١) في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل فاتحة الكتاب ... /٨٠٦/ (٢/ ٨٨٠).

وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ».
وفي رواية البيهقي[1]: «إلا أوتيته».

فالملائكة لمَّا تنزل إلى الأرض تنزل من أبواب معيَّنة، ولكل ملك باب خاص ينزل ويصعد فيه بأمر الله تعالى.

وهناك أبواب سماويَّة يتنزل منها رزق المؤمن ـ رزقه الحلال النافع ـ وهناك الرزق القلبي، والرزق القوتي الجسماني، والرزق الروحي. كما يصعد عمله الصالح وكلمه الطيب من باب من أبواب السَّماء، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] وهذا لَمّا ذكر سبحانه أنَّه أغرق فرعون وقومه. ولقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنى الآية، كما روى الترمذي[2] عن أنس

---

(١) في (شعب الإيمان) / ٢٣٦٠/ (٢/ ٤٤٥).

(٢) في كتاب التفسير /٣٢٥٢/ (٩/ ٩).

رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وَلَهُ بَابَان: بَابٌ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فإِذَا مَاتَ العَبْدُ المُؤمِن بَكَيَا عَلَيْهِ» فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾.

لأن السَّماء تفرح بصعود عمل المؤمن الصالح وكلمه الطِّيب، والأرض تفرح لمّا يصلي عليها المؤمن ويعبد ربَّه، فإذا مات فَقَدتْ هذا كله، فبكت السَّماء والأرض حزناً على هذا المؤمن الصالح.

قال مجاهد كما في تفسير القرطبي[1] وابن عباس كما في (المستدرك)[2]: (إنَّ السَّماء والأرض تَبْكِي عَلَى مَوْتِ المُؤْمِن أرْبَعِيْن صَبَاحَاً).

وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) (١٦/١٤٠).

(٢) (٢/٤٤٩).

فأعمال المؤمن الصالحة وكلامه الطيب يصعد إلى الله تعالى، وتُفتح له أبواب السماء، ولكل مؤمن باب معين تُرفع منه أعماله إلى الله تعالى، كما بيّن الحديث السابق: أنّ هناك باباً ينزل منه الرزق الحلال، وباباً يصعد منه العمل الصالح.

وأما الحرام فهو نابت من نجاسة الأرض.

وهناك الرزق القلبي وهو الإيمان، والرزق الروحاني وهو المعارف الإلٓهية.

ومن جملة حِكَم رفع الأعمال إلى الله تعالى، ما بيَّنه صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث الذي رواه ابن ماجه واللفظ له، والحاكم(1)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ ممَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّه تعالى التَّسْبيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ

(1) ابن ماجه /٣٨٠٩/ و(المستدرك) (١/ ٥٠٠).

النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا» أي: يشفعن به «أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ».

وهناك الأبواب السَّماويَّة الخاصة بمعارج أرواح أهل الإيمان، إذ إنَّ كل مؤمن بعد موته يُعْرَجُ بروحه إلى ربِّ العزة، وحين تصل إلى السَّماء الأولى تفتح لها، وهكذا تنتهي إلى ربِّ العالمين، وهناك يَلقى المؤمن ربَّه وهو راض عنه.

وأما الكفار فإنّ الملائكة تأخذ أرواحهم لترفعها فَتُغْلَق أبواب السَّماء دونها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ الآية [الأعراف: ٤٠] ويأتي النداء من ربِّ العزَّة أن تُردّ إلى أسفل سافلين.

وهناك أبواب خاصة بمعارج الأنبياء بأرواحهم كما كانوا في الحياة الدنيويَّة، لكن باب المعراج المحمدي

الذي عرج منه صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه وروحه هو أفضل أبواب السَّماوات السَّبع كلـها، وهـو البـاب المسامت تماماً للصـخرة المباركـة في بيـت المقـدس، الَّتي كانت قبلة أنبياء بني إسرائيل.

وقد **يُقال**: لِمَ لَمْ يكن عروجه صلى الله عليه وآله وسلم من الكعبة المشرَّفة؟

فيقال: إن الكعبة مسامتة تماماً لبيـت العـزة الـذي هو قبلة أهل السَّماء الأولى، والمسامتة تماماً لقبلة أهـل كُلِّ سَماء، حتَّى قبلة أهل السَّـماء السَّابعة وهـو البيـت المعمور، الذي هو موضع تجلِّيـات الحـق علـى عبـاده حين يصلون متوجِّهين بأجسامهم إلى الكعبة، وبقلوبهم إلى ربِّ الكعبـة، وربِّ البيـت المعمـور؛ إلى ربِّ العالمين جلَّ وعلا.

ومن الآيات الكبرى الَّتي رآها صلى الله عليه وآلـه وسلم: البيت المعمور، إذ شاهده صلى الله عليـه وآلـه وسلم ودخل فيه وصلَّى، وهو قبلة أهل السَّماء السَّابعة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في تفسير ابن كثير[1]: «ثُمَّ صَعِدتُ السَّماء السَّابعة فإذا بإبْرَاهيْم عليه السَّلام ومَعَهُ قَوْمٌ» أي: من أتباعه «فَسَلَّمتُ عَلَيْه فَردَّ عَلَيَّ السَّلام، فإذا أنَا بأمَّتِي شَطْرَيْن» أي: أراهم قسمين وهم الذين آمنوا به صلى الله عليه وآله وسلم «شَطْرٌ عَلَيْهم ثِيَابٌ بِيْضٌ كَأَنَّهَا القَرَاطِيْسُ» أي: الصحف البيضاء «وشَطْرٌ آخَرُ عَلَيْهم ثِيَابٌ رَمِدة» أي: شيء من التراب «فدخلتُ البيت المعمور، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض، فصليت وصلَّى معي الذين فيه» أي: أهل الثياب البيض، وقد اقتدوا بسيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم «وبقي الذين عليهم ثياب رمدة حُجِبُوا» أي: منعوا عن ذلك «وهم على خير، ثم أخذوا فاغتسلوا فلم يبق في ثيابهم شيء.

---

(١) (٣/ ١٢و١٩) والخبر في «دلائل النُّبوَّة» للبيهقي (٢/ ٣٩٤) و(مجمع الزوائد) (١/ ٧١) وعزاه للبزار، والسيرة الشاميَّة (٣/ ١٢٦).

قلتُ: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟.

قال: أهل الثياب البيض فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأهل الثياب الرمدة هم: قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابُوا» وأنابوا «فتاب الله عليهم» فاغتسلوا بماء المغفرة وتمّت لهم النعمة.

فلا تدنس ثيابك أيها المؤمن بالذنوب، وحافظ على نظافة باطنك وثوب قلبك، كما تُحافظ على ظاهرك وثياب جسمك من الدنس والأوساخ.

ومن جملة الآيات الكبرى الَّتي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سِدْرة المنتهى، وبيَّن عظمتها، وجاء في الحديث (١) أنَّ كل ورقة منها تُغطي خلق الله تعالى. فانظر في نسبة هذه العوالم المشهودة

---

(١) كما في (دلائل النُّبوّة) للبيهقي (٢/٣٩٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه و(٢/٤٠٢) و (مجمع الزوائد) (١/٧١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

لك، وما نسبتها لتلك العوالم الغيبيَّة ومنها سدرة المنتهى، حقاً إنَّها آيات كبرى.

ومن جملة الآيات الكبرى الَّتي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثمَّ عُرج بِي حتَّى ظهرتُ لمسْتَوىٰ أسْمَعُ فيه صَريْفَ الأقْلام» كما رواه الشيخان(1).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ عُرج بي» دليل تخّصصه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك المقام.

«لمستوى» أي: معتلى.

«أسمع فيه صريف الأقلام» أي: الَّتي تجري بكتابة أحكام القضاء والقدر، وإنّ صريف تلك الأقلام ليس كصريف الأقلام المألوفة، إذ أنَّ هذه الأقلام لا يُفهمك صريفها ما يُكْتَبُ، ولا معنى ما تكتب، إنَّما تسمع صدى فقط، أما تلك الأقلام فكان سماع صريفها

---

(1) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

للرسول صلى الله عليه وآله وسلم سماع فهم ومعنى. كما أنَّ لصريفها عُذوبة صوت يتنعم به من خصّصه الله تعالى بذلك. ومن هذا تفهم سرّ قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يعني: أنَّ الله السميع البصير أعطى حبيبه سيِّدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قوَّة في سمعه وبصره، حتَّى سمع أموراً لا يَستطيع أحد غيره أن يسمعها.

ومن جملة ذلك أنَّه سمع صريف الأقلام، سماع صدى وصوت طرب لذيذ، لا يُمكن لجبل أو سماء أن تتحمَّل لذة ذلك السَّماع، وسماع فهم واطلاع وكشف، وليس ذلك القلم قَلم خشب أو حديد، وإنَّما هو عالم كبير من ملائكة الله تعالى العالين، الَّذين يكتبون بأمر ربِّ العالمين.

أما الأقلام: فهناك **الأقلام القضائية** تكتب وتستنسخ ما أُمرت به من اللوح المحفوظ، وهناك **أقلام** تكتب الوحي والأوامر الإلهية المستمرَّة، لأنَّ لله تعالى

أوامر مستمرَّة تصدر عن حضرته جل وعلا، وكلها تسطرها الأقلام، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في رواية البخاري ـ واللفظ له ـ والترمذي وابن ماجه[1]: «إذا قضى الله الأمر ـ وفي رواية أبي داود[2]: «إذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ» ـ في السَّماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله، كالسِّلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟

قالوا: للذي قال: الحق وهو العلي الكبير».

وهناك الأقلام الَّتي تجري بكتابة أعمال بني آدم الصالحين، ودرجاتهم ومقاماتهم، لأنَّ الأعمال تُرفع وتُعْرض على الملأ الأعلى، وينظرون فيها، ومن جملة

---

(١) البخاري في كتاب التفسير عند تفسير سورة الحِجْر /٤٧٠١/ (٨/٣٨٠) والترمذي /٣٢٢١/ وابن ماجه /١٩٤/ عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في كتاب السنة، باب في القرآن الكريم /٤٧٣٨/ (٥/١٠٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الملأ الأعلى: الأنبياء، وسيِّد الملأ الأعلى سيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال قبيل وفاته: «اللهم الرفيق الأعلى»[1].

ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم قبل النوم: «واجعلني في النَّدِيِّ الأعلى»[2].

وقال تعالى إخباراً عن حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩] أي: حتَّى علمني الله تعالى. وقد كان ذلك لَمَّا تجلَّى الله تعالى على رسول الله صلى الله

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٨٩) والبخاري في كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم /٤٤٦٣/ (٨/١٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة /٢٤٤٤/ عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام أبو داود في كتاب الآداب، باب ما يقول عند النوم /٥٠٥٤/ (٥/٣٠٢) عن سيدنا أبي الأزهر الأنماري رضي الله عنه.

عليه وآله وسلم، وهو ساجد في قيام الليل، وقال[1]: «يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى»؟

ثم تجلَّى عليه بالعلم والمعرفة والكشف: «فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى»؟

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «قُلْتُ: فِي الدَّرجات والْكَفَّارَاتِ» أي: أَنّ الملأ الأعلى يختلفون في أحكام أعمال بني آدم، وأعمال بني آدم ما بين كفارات ودرجات، كفارات تُكفِّر الذنوب، ودرجات ترفع المقامات. فينظر بعضهم فيرى أنَّ هذا العمل يُكفّر كذا من الذنوب، وذاك يرى أنّ هذا العمل يكفّر أكثر، وآخر يقول: إن هذا العمل يرفع صاحبه درجة، وآخر يقول: درجتين، فيختلفون فيما بينهم، حتَّى يحكم الله لهم، ولا مُعقِّب لحكمه. فيسجل في الدواوين وتجري الأقلام بذلك.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/٣٦٨) والترمذي في التفسير /٣٢٣١/ عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ومن هذا قوله: «والكَفَّارَات: المُكْثُ في المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوات، والمَشْي على الأقْدَام إلى الجَمَاعَات، وإبْلاغ الوضُوء في المَكَاره.

والدَّرَجَات: إفْشَاءُ السَّلام، وإطْعَامُ الطَّعَام، والصَّلاةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَام».

وهناك **القلم الأعلى**: وهو القلم الأول الذي خطَّ المقادير، وجفّ بما خطّ. كما في الحديث: «رُفِعَتِ الأقْلام وجَفَّتِ الصُّحُف»[1].

وفي الحديث: «كَتَبَ الله مَقَادِيْر الخَلائق قَبْل أنْ يَخْلُقَ السَّمَاوات والأرض بخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَة» قال: «وعَرْشُه عَلَى المَاء»[2].

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في (المسند) (١/٢٩٣) والترمذي في أبواب صفة القيامة /٢٥١٨/ (٧/٢٠٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب القدر /٢٦٥٣/ (٥/٢٥٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي واللفظ له[1]: «إنَّ أوَّل مَا خَلَقَ الله القَلَم فقال: اكتب، فقال: ومَا أكْتُب؟ قال: اكتُبْ القَدر مَا كان ومَا هُو كَائِنٌ إلى الأبد» وهذا هو القلم الأعلى الأول.

وهناك أقلام تجري الآن بتنفيذ الأحكام الإلٰهية، وتستنسخ ما كتب القلم الأعلى، ولهذا قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١-٢] فلمَّا قابل ﴿نٓ﴾ بالقلم، دَلَّ على أنَّ المراد بـ ﴿نٓ﴾ المدد الذي يستمد منه القلم، والمراد هنا مدد الله تعالى لذلك القلم، وإفاضته عليه ما أمره بكتابته.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وهم الملائكة الذين قال فيهم صلى الله عليه وآله وسلم وفي كتاباتهم: «ثمَّ عُرج بي

---

(١) أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر /٤٧٠٠/ (٧٦/٥) والترمذي /٢١٥٦/ عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

حتَّى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[1].

ومن جملة الآيات الكبرى الَّتي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنَّة، كما قال في الحديث الذي رواه الشيخان[2]: «ثم أدخلت الجنَّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».

وعن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه قال: لَمّا عُرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السَّماء قال: «أَتَيْتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف» وهذا معنى: «جنابذ اللؤلؤ» وهي قباب الفضة الَّتي بنيت من لؤلؤة واحدة.

«فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر»[3].

وفي رواية الترمذي[4]: «الذي أعطاكه الله» وهو

---

(١) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

(٢) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

(٣) البخاري في كتاب التفسير /٤٩٦٤/ (٨/ ٧٣١).

(٤) في كتاب التفسير: /٣٣٥٦/.

المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

فالخير كُلُّ الخير عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أحبَّه واتبعه نال من خيره صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أبغضه فهو أبتر، أي: المقطوع من كُلِّ خير دنيوي وأخروي.

ويحسن بالمؤمن أن يكثر من عبادة الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج، وأفضل الأعمال الصلاة، قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في رواية أحمد ـ واللفظ له ـ والحاكم، والدارمي وابن ماجه[1]: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» وهذا من العبادات العملية، وأما الأعمال القوليَّة فتلاوة كتاب الله تعالى، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[2].

---

(١) (المسند) (٥/٢٧٧) (المستدرك) (١/١٣٠) الدارمي (١/١٦٨) ابن ماجه /٢٧٧/ عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه.

(٢) طرف من حديث رواه الترمذي في كتاب ثواب القرآن =

فيحسن بالمؤمن أن يُكثر من تلاوة القرآن الكريم تلك الليلة، ويقرأ سورة الإسراء لعل الله ينفعه بأنوار وأسرار الإسراء والمعراج المحمدي، ببركته صلى الله عليه وآله وسلم.

كما يحسن بالمؤمن أنْ يقرأ ليلة النصف من شعبان سورة الدُّخان، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ لِربِّكم في أيام دَهْركم نَفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً»[1].

فما هي الأيام التي ترجى نفحاتها؟ وما هي اللَّيالي الَّتي ترجى نفحاتها؟

نعم هي اللَّيالي التي بيّن فضائلها رسول الله صلى

= الكريم /٢٩٢٧/ (١٢٥/٨) والدارمي (٤٤١/٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير (مجمع الزوائد (٢٣١/١٠) عن سيدنا محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

الله عليه وآله وسلم، وهي اللَّيالي الَّتي أكرم الله بها نبيَّه سيَّدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالإسراء والفضل الخاص، ومن جملتها ليلة الإسراء والمعراج، وليلة القدر، وليلة النصف من شعبان، ويوم عرفة، ويوم الجمعة وهكذا.

واعلم أنّ النفحة تُحيي الروح كما يحيا الجسد بالروح، فمن أصابته نفحة من هذه انجذب قلبه إلى الله تعالى واتصل ووصل، ولا تقولنَّ: إن أمر الوصول يحتاج إلى عدة أصول، كأوراد ونحوها.

واعلم أنَّه لا حَظْرَ على الله في إيصال الواصلين، وقرب المتقربين، وهم يتحيَّنون أوقات العطاء الإلٓهي، والنفحات الإلٓهية، ويغتنمونها، فيسعدهم الله بقربه. فما عليك أيها السائل إلاَّ أن تقول: اللهُمَّ أوصلني بك إليك، اللهُمَّ إنَّا نسألُك نفحة محمَّديَّة لا نشقى بعدها أبداً ـ اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

المحاضرة الخامسة :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما الإسراء فهو: إسراؤه صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأمَّا المعراج فهو: عُرُوجُه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السَّماوات، ثُمَّ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، ثُمَّ إلى مُسْتَوى سَمع فيه صَرِيْفَ الأقلام، ثُمَّ إلى مَقَام رأى فيه ربَّه وكلَّمه بلا حجاب ولا ترجمان.

واعلم أنَّ الإسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معاً، وهذا هو الحق، ولا عبرة لغير ذلك من الأقوال.

أمَّا الإسراء فقد ثبت بنص قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والمعراج أشارت إليه الآية: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] وهذه الآيات هي العوالم السَّماويَّة الَّتي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معراجه: من سِدْرة المنتهى، والبيت المعمور، وغيرها من تلك العوالم الغيبيَّة.

وقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فسَّره قوله تعالى في سورة النجم الَّتي جاء فيها النص على المَعراج صراحة: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] فقد ثبت الإسراء نصَّاً في أوَّل سورة الإسراء، وثبت المعراج نصَّاً في أوَّل سورة النجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ـ١٥] فقد ارتقى وعلا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى، فوق

السَّماء السَّابعة، وهناك جنَّة المأوى.

ولقد كان الإسراء والمعراج يقظة بالجسم والروح، كما دلَّت عليه النصوص القاطعة كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

فيقال في اللغة: سار نهاراً، وسَرىٰ ليلاً، وأسرى بأهله ليلاً، أي: مشى في اللَّيل.

فلمَّا أمر الله موسى عليه السلام قال له: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ الآية [الدخان: ٢٣] فهل أسرى موسى عليه السلام ليلاً بأرواح بني إسرائيل وترك أجسادهم؟! أم أسرى بهم روحاً وجسداً وكانوا معه؟!!

وكذلك قوله تعالى للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١] أي: جسماً وروحاً.

فلمَّا قال سبحانه: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي: جسماً وروحاً. فافهم.

ولو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط لقال: أسرىٰ بروح عبده. أو يأتي بجملة أخرى نحو كشف لعبده. وهكذا.

وإنّ كلمة العبد تُطلق على الجسم والروح، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] أي: يعبده ويدعو إليه بجسمه وروحه صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أنَّ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ فيه تحديد للمسافات، وهذا من شأن الأجساد، أما الروح فلا تحتاج إلى تعيين المسافات، فهي من عالم الملكوت.

وهكذا فقوله تعالى: ﴿أَسۡرَىٰ﴾ دليل على الجسم والروح، وكذا قوله تعالى: ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾، وكذا قوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾.

وإذا أشكل عليك فهم ذلك، زاعماً أنَّه كيف يكون ذلك بالجسم وفيه قطع تلك المسافات الشاسعة،

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يحتاج إلى طعام وشراب؟.

فيقال: لقد بيَّن سبحانه ذلك بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ وهذه عادته سبحانه في القرآن الكريم، وهي أن يفتتح ذكر الأمور العظيمة العجيبة بالتسبيح، ليلفت العاقل إلى التفكّر في قدرة الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦] أي: حتَّى الجمادات والرياح والنباتات، فَمِنَ الرياح لواقح ومنها عقيم. وهكذا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] أي: سِرُّ كل شيء وقيوميَّته بيد الله تعالى، ومن جملة الملكوت الروح الإنساني. فلما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ أي: أن الأمر كان بقدرة الله تعالى ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ أي: بصحبة عبده، فهو سبحانه الذي أمدَّه وحفظه.

وقد بيَّن تعالى الحكمة من الإسراء والمعراج بقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ فقد جمعه سبحانه وتعالى بالأنبياء كلهم، إذ إنَّ الله تعالى أخذ العهد على جميع الأنبياء، وأمرهم أن يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ [آل عمران: ٨١]، فكلهم في تشوق إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم مأمورون أن يتبعوه ويقتدوا به، فقد حصل هذا في المسجد الأقصى، لأنه كان مهبط نبوات ورسالات معظم الأمم السابقة.

ولما أقبل رأوه، وحققوا التَّبعية والإقرار به صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الحديث[١]: «ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ

---

(١) رواه الإمام النسائي في أول كتاب الصلاة (١/٢٤٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

المَقْدِس، فَجُمع لي الأنْبِيَاء عليهم السلام، فَقَدَّمَني جبريل حتَّى أمَمْتُهُم» فلك الفخر والشرف أيُّها المؤمن أنَّك اتبعت واقتديت بالإمام الذي لا إمام له، وهو إمام كُلِّ إمام، ولا أحد أمامه إلاَّ الله تعالى، وهو الشفيع الذي لا شفيع له صلى الله عليه وآله وسلم.

ثُمَّ عُرِج به صلى الله عليه وآله وسلم إلى السَّماء من الصخرة التَّي هي في بيت المقدس، لأنّ الصخرة كانت هي القبلة، وهي موازية تماماً لباب السماء الدنيا، الذي يسمى: باب الحفظة، وأما الكعبة المشرَّفة فهي موازية للبيت المعمور الذي هو قبلة أهل السَّماء السَّابعة، مُروراً ببيت العزة الذي هو قبلة أهل السَّماء الأولى.

ولو كان الإسراء والمعراج بالروح ـ أي: في المنام ـ لما اعترضت كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا أخبرهم بذلك، ولذلك راحوا يطالبونه: ما دمت وصلت بجسمك إلى بيت المقدس فصفه لنا؟

لكنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يلتفت إلى تلك الأمور، إذ إنَّ الأمر أجل وأعظم من ذلك، وفي هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم[1]: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ» أي: كشف لي إلى بيت المقدس: «فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

ومما يدل على أنَّ الإسراء والمعراج كان بالجسم والروح، أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لما بَعَثَ كتاباً إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام، اجتمع هرقل مع قريش وفيهم أبو سفيان وسألهم عن صفة هذا النَّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. الحديث كما تقدم[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء /٣٨٨٦/ (١٩٦/٧)، ومسلم في كتاب الإيمان /١٧٠/ عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٢) ص /٦٠/ .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم كلَّما انتهى إلى سَماء استفتح جبريل وفُتِح له، وقد سَجّل سبحانه هذه المعجزة الكبيرة: **حادثة الإسراء والمعراج في القرآن** الكريم، حتى تكون حجة على جميع الأمم إلى يوم الدين، لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله إلى الأمم كلها إلى يوم الدين.

ولا بدَّ أنْ يأتي بمعجزات تُعجز الإنس والجنَّ على اختلاف طبقاتهم إلى يوم الدين، لتقوم عليهم الحجة، وليس الإعجاز في الإسراء والمعراج هو العلوّ فقط، وقطع المسافات الشاسعة، إذ إنَّ الجنَّ يقدرون على الارتفاع، كما قال تعالى في الخبر عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] فيعلو أحدهم حتَّى يقترب من أبواب السَّماء، ويستمع لحديث الملائكة، إلاَّ أن الجنَّ لا يقدرون على دخول أبواب السَّماء، كما قال سبحانه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟

﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي: إلا بإذن من الله، يجعل لكم سلطة وقوَّة على ذلك، كما أعطى السلطان لسيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأذن له بذلك.

فالمعجزة ليست مجرد علوّ، لكنها دخول في العوالم العلويَّة السَّماويَّة، لأن مَنْ يدخل عالماً تجري عليه أحكام ذلك العالم.

واعلم أن كل رسول يأتي إلى قومه بما يُعجزهم أن يأتوا بمثله، حتى يُبيِّن لهم أنَّه ليس بشراً عادياً مثلهم، بل هو مستند إلى قدرة الله تعالى، لأنَّه رسول الله تعالى ولما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً عاماً إلى جميع الإنس والجنِّ، اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتي بمعجزات تُعْجِزُ الجنَّ والإنس عن الإتيان بمثلها، وقد أعجز الإنس على مختلف طبقاتهم، فقد أعجز الأطباء في طبهم، والفلكيين في علمهم... وهكذا.

أما الأطباء فقد أعجزهم بمسحاته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى الطبراني وابن شاهين، عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، أَنَّه أصيبتْ عينه يوم أحد، فوقعت على وجنته، فردها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكانت أصح عينيه.

وجاء في رواية الطبراني، وأبي نعيم، عن قتادة رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَتَّقِي السِّهام بوجهي دُونَ وجه رسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي: وذلك في أحد ـ فكان آخرها سهماً نَدرت ـ أي: سقطت ـ منه حَدَقَتِي، فأخَذْتُها بيدي، وسَعَيْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمَّا رآها في كَفِّي دَمَعَتْ عَيْنَاه. فقال: «اللهُمَّ قِ قتادة كمَا وقَى وجْهَ نَبِيِّك، فاجعَلْهَا أَحْسَنَ عينيه، وأحدَّهما نَظَراً» فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً.

وفي رواية: (وكَانَتْ لا تَرمد إذا رمدت الأخرى).

وفي رواية: (أنَّ عينه سالت على وجنته).

وفي رواية: أَنَّه أَخَذَها بيَدِه فجَاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «يا قَتَادة إنْ شئْتَ صَبَرْتَ ولك الجنَّة، وإنْ شئْتَ دَعَوتُ الله لَكَ أنْ يَردَّهَا عَلَيْكَ».

فقال: يا رسول الله لي زوجة، وإن ذهبتْ عَيْنِي كَرِهَتْنِي لعَوَري، وأُحِبُّهَا وتُحِبُّنِي، فَسَل الله أنْ يُدْخِلَنِي الجنَّة، ويَردها عليَّ.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «سَأفعَل ذلك يا قتادة» أي: سأدعو الله لك أن يدخلك الجنَّة، ويردَّ عليك عينك.

فأخذها صلى اللهِ عليه وآله وسلم بيده وقال: «اللهُمَّ قِ قَتَادَةَ» أي: قهِ من نقص العين والشَّين «كَمَا وَقَى وَجْهَ نَبِيِّك مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، واجْعَلْ هَذه العَيْنَ أَحْسَنَ العَيْنَيْن وأحدَّهَا نَظَراً» وأعاد صلى الله عليه وآله وسلم العين إلى مكانها، وكان كما

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام البخاري ومسلم[2]، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبه الله ورسوله».

فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وكُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَيْنَ عَلِيُّ بن أبي طالب»؟

فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ صلى الله

---

(١) تنظر الروايات في «دلائل النُّبوَّة» للبيهقي (٣/٢٥١) و(مجمع الزوائد) (٨/٢٩٧) وشرح الزرقاني على (المواهب).

(٢) البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه/٣٧٠١ و٣٧٠٢/ (٧/٧٠) ومسلم في فضائل الصحابة /٢٤٠٦/ (٥/٢٤٠٣) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

عليه وآله وسلم فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرِئَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّه لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ.

وفي رواية مسلم[1]: (فأتي به فبصق صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه ودعاله، فبرئ حتَّى كأنَّه لم يكن به وجع).

وفي حديث آخر[2]: (فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرَّاية ففتح الله عليه).

وهذا مُعَوِّذ بن عفراء رضي الله عنه، يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، وقد قطعت يده، فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى موضعها ومسحها[3].

---

(١) /٢٤٠٦/.

(٢) البخاري /٣٧٠٢/.

(٣) هكذا في (الشفا) للقاضي عياض رحمه الله تعالى =

وقد انكسر سيف عكاشة ـ بتخفيف الكاف أو تشديدها ـ بن محْصن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لقد انكسر سيفي. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غصن نخل يابس، فصار سيفاً في يد عكاشة رضي الله عنه، وقد بقي إلى يوم حروب الردَّة، وحارب به واستشهد وهو معه، وكان يسمى: العون[1].

وكذلك أعطى عبد الله بن جحش رضي الله عنه غصن نخل، وصار سيفاً في يده، وكان يسمَّى: العرجون[2].

ومن معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:

= (١/ ٦٢٢) والسيرة الشاميَّة (١٠/ ٢٤٠) وينظر البخاري /٤٢٠٦/ فقد ذكر قصة سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(١) كما في (الشفا) (١/ ٦٤٢) وكان هذا يوم بدر. وتنظر سيرة ابن هشام و(دلائل النُّبوَّة) للبيهقي (٣/ ٩٩).

(٢) كما في (الشفا) (١/ ٦٤٣) وكان هذا يوم أحد.

١٧] وهذا ما حصل يوم بدر، لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفّاً من حصى ورماه في وجوه الأعداء، فما ترك واحداً إلاَّ أصابه بأنفه وعينه(١).

فمن يقدر على ذلك؟! إنها قدرة الله تعالى الَّتي أجراها وأظهرها على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد وقع هذا يوم حنين أيضاً، وأخذ صلى الله عليه وآله وسلم كفّاً من حصى ـ وعند مسلم من تراب ـ وهو راكب على بغلته وقال:

أَنَا النَّبي لاَ كَذِبْ   أَنَا ابن عَبْدِ المطَّلِبْ

ورمى الحصى في وجوه الأعداء، فما ترك واحداً إلا أصابه في عينيه، وكانوا ألوفاً، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «انْهَزَمُوا ورَبِّ مُحَمَّد» صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

---

(١) كما في (الدر المنثور) عند تفسير هذه الآية الكريمة، وينظر الخبر مفصلاً في السيرة الشاميَّة (٤/٧٤).

(٢) ينظر (صحيح) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في =

وهكذا جاءت معجزة الإسراء والمعراج حجة وبرهاناً قاطعاً على أولئك الفلكيين، ومن يحاول الصعود إلى الفضاء بالصواريخ وغيرها، أنَّهم مهما بلغوا ووصلوا وعلوا؛ فسيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم علا فوق ذلك، وجاء بما يُعجزهم، وجاوز هذا العالم، ودخل السَّماوات، وعاد وأخبرنا، وذكر الله هذا ليكون حجة إلى يوم الدين.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: ونسمعه كلامنا، ولذلك قال في تذييل الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: أنَّ الله السميع البصير أسمع سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مالم يُسمع غيره، وأسمعه كلامه، وأراه مالم يُرِ غيره، حتى رأى ربَّه سبحانه. وفي

= غزوة حنين / ١٧٧٥/ (٤/١٨٦٨) عن سيدنا العباس رضي الله عنه، و /١٧٧٧/ عن سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وينظر مفصلاً في السيرة الشامية (٥/٥٧٥).

هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[1] وهو عالم القلم الذي يجري بتنفيذ أوامر الحق سبحانه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون»[2].

ولقد رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عند سِدْرة المنتهى، عندها جنَّة المأوى. أما قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ فهو إشارة إلى رؤية الحق جلَّ وعلا.

والمعنى: واذكر يا محمد فضل الله عليك، لمّا تجلَّى ربك بالأنوار على عالم السِّدرة، فغطتها ألوانُ وأنوار الجمال الإلّهي، حتى ما عاد أحدٌ من خلق الله

---

(١) كما في البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

(٢) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في (المسند) (٥/١٧٣) والترمذي في كتاب الزهد /٢٣١٣/ (٧/٧٤) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

يستطيع أن يصفها، كما جاء في تفسير البغوي، عن الحسن رضي الله عنه قال: (غشيها نور ربِّ العالمين فاستنارت).

أما موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من هذا النور الباهر القاهر الذي تجلّى به ربّ العالمين عليه قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما حار وما جاوز المنظور إليه، بل ثبت أمام هذا النور بقوَّة ومدد من الله تعالى.

أما سدرة المنتهى فينتهي عندها عالم الفناء، ثم بَعدها عالم الجنَّة، يبدأ الدخول في عالم البقاء، وهي عالم كبير محيط بالسماء السابعة، وعندها مقام سيدنا جبريل عليه السلام.

ولما وصل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عالم السِّدرة، امتلأت بالملائكة حتّى صار على كل ورقة من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكلهم يتطلعون إلى النظر إلى صاحب الطلعة البهيَّة، وإلى ذلك الجمال المحمَّدي صلى الله عليه وآله

وسلم[1]، ثم طُوِيَتْ له المراحل، وتجلَّى عليه سبحانه بالرؤية والمكالمة، ولما سئل صلى الله عليه وآله وسلم: هل رأيت ربّك؟ قال: «رأيت نوراً»[2] أي: تجلَّى لي بالنور الأعظم، وهناك نال صلى الله عليه وآله وسلم من القرب والإكرام ما لم ينله أحدٌ من خلق الله تعالى، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمَّا فَرَغْتُ» أي: ليلة المعراج «ممَّا أمَرَني الله به مِنْ أمْرِ السَّماوات والأرض» وافهم هنا: أنه كيف يُعقل أن يدعو الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى حضرته بواسطة سيد الملائكة جبريل، ثم يكلمه من وراء حجاب؟!

بل دعاه إليه ليكشف له الحجاب، ويكلمه ويتحفه ويكرمه.

«قُلْتُ: يا رَبِّ إنَّه لَمْ يكُن نبيٌّ قَبْلِي إلاَّ وقَدْ

---

(١) تقدم تخريجه ص /٨٣/.

(٢) كما في (صحيح) مسلم، في كتاب الإيمان /١٧٨/ (١/٣٤٦) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

كَرَّمته، جَعَلْتَ إبْرَاهيْم خَليْلاً، وموسى كَليمَاً، وسَخَّرْتَ لدَاود الجبَالَ، ولسُلَيْمَان الرِّيْحَ والشَّيَاطِيْنَ، وأحْيَيْتَ لعيسى المَوْتَى؛ فَمَا جَعَلْتَ لي؟

قال تعالى: أَوَليس قَدْ أَعْطَيْتُكَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلك كُلّه»؟ أي: أعطيتك ما أعطيتهم وأكرمتك «أنْ لا أُذْكَرَ إلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي» الحديث [1].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) تقدم تخريجه ص /٩٢/.

المحاضرة السادسة :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من معجزات صدق نبوَّة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لقد أيَّد الله تعالى رُسُلَه بالبيِّنات فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] والبيِّنات: جمع بينة، وهي: الأدلَّة والبراهين العقلية التي تُثبت قضايا الإيمان، وصدق الرسل بما جاؤوا به.

وهناك البينات المشهودة وهي المعجزات الكونيَّة، يعني: خوارق العادات البشريَّة، الَّتي يَعجز الإنس والجنُّ عن فعلها، وتشهد للرسل على صدقهم وحقيقة ما جاؤوا به.

ولقد كان أعظم الرسل بَيِّنةً، وأجمع الرسل معجزة وبرهاناً هو سيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال فيه سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] فسمَّاه سبحانه: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ والبيِّنة هي: ما كان ظاهر الصدق والحق بنفسه وفي غيره.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم: بيِّنة الله الكبرى وحجة الله العظمى على العالمين، ظهر ذلك وتجلَّى في خَلْقِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وخُلُقِه العظيم، وَسَيْره وسيرته، وشمائله وخصاله، وفي طلعته البهيَّة، وأنواره الزهيَّة، حتَّى قال فيه سيدنا عبد الله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وظهرت آيات صدقه صلى الله عليه وآله وسلم في المعجزات المتنوعة، التي أجراها الله على يديه صلى الله عليه وآله وسلم، وفيما جاء به من القرآن العظيم،

الذي أعجز الجنَّ والإنس عن الإتيان ولو بسورة مثلـه، في نصها أو بيانها، أو بلاغتها، أو أخبارها الغيبيـة، أو في الأحكام والتشريع، ومن هـذه المعجـزات: معجـزة الإسراء والمعراج.

أما الإسراء فهو إسـراء الله تعـالى لنبيِّـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم مـن المسـجد الحـرام إلى المسـجد الأقصى، والمعراج هـو عروجـه صـلى الله عليـه وآلـه وسلم إلى السَّماوات العلا، إلى سدرة المنتهى، حيـث عندها جنَّة المأوى، ثم إلى مستوى سمـع فيـه صـريف الأقلام، ثم إلى المستوى الذي تجلَّى عليه ربُّ العالمين وكلَّمه وناجاه، وناداه وبشّره، وأعطاه العطايا العظيمة، الَّتي منها ما يختص به صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما يتعلق بأمته، تكريماً له صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، وإن تكريم أمَّته هو تكريم له صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان الإسراء والمعراج بالجسم والروح، وهو الحق لا غيره، وليست القضية خلافيّة بين العلماء

إذ إنَّ الأدلَّة كلها تقطع وتجزم على أنَّ الإسراء والمعراج كان بالجسم والروح، ولا يحتمل فهم غير ذلك مِنْ نص شرعي، قال تعالى في بيان الإسراء في أول سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وأشار إلى المعراج إشارة بقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ﴾.

وذكر سبحانه المعراج صراحة في أول سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا

رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ـ ١٨].

والدليل في الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

يعني: أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم وصل إلى سدرة المنتهى، الَّتي عندها جنَّة المأوى، وهناك رأى جبريل عليه السلام بحقيقته الجبريليَّة، وكان قد رآه في بطحاء مكة بحقيقته الجبريلية أيضاً.

فالإسراء والمعراج هُما من جملة عَقيدة المؤمن الَّتي يجب أن يؤمن بهما، لأنهما ثابتان بنص القرآن الكريم.

ومن جملة الأدلَّة على أنَّ الإسراء والمعراج كان بالجسم والروح قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ

﴿لَيۡلٗا﴾ وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ليفهمه الناس على مقتضى مفاهيم وقواعد اللُّغة العربيَّة(١).

فلمَّا قال سبحانه لسيدنا لوط: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود: ٨١] أي: جسماً وروحاً.

ومن هنا يجب أنْ تَفْهم معنى قوله تعالى: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ أي: بجسمه وروحه.

ومن أين لك الدليل على أنّ الإسراء كان بالروح دون الجسم ؟!!

ومن وجه آخر: لو كان الإسراء والمعراج بالروح لا بالجسم، أو بالمنام لا باليقظة؛ لَمَا أنكره المشركون، ولما كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) وإن لتفسير القرآن الكريم أُسُساً وضوابط ترى بيانها في غير هذا الموضع.

وسلم بما أخبرهم، ولقالوا: إنّ الأمر منام، لكنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا أخبرهم أنَّ الأمر كان بالجسم والروح؛ استبعدوا ذلك عن قدرة الله تعالى، وراح بعضهم يُنكر ويكذب ويعارض، حتى بيَّن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه مرَّ بسفره على كذا وكذا، وأن القافلة الفلانيَّة وصلت يوم كذا وستأتي يوم كذا، حتى إذا أشرقت شمس اليوم الذي حدَّده لهم وصلت القافلة[1].

* * * * *

(١) ينظر (دلائل النُّبوَّة) للبيهقي (٢/٣٥٧) و(مجمع الزوائد ١/٧٤) وعزاه للبزار والطبراني عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه.

فوائد وآثار الإسراء والمعراج
على الأمَّة المحمَّديَّة
صلى الله عليه وآله وسلم

لقد ذكر سبحانه قصَّة الإسراء والمعراج في القرآن الكريم لتبقى إلى يوم الدين، لتعلم بها الأمة ويؤمنوا بها، لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم رسول إلى أهل زمنه ومَنْ بعدهم إلى يوم الدين، وتكون حجة على الأمم الذين يأتون مِنْ بعده صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا في عدة معجزات محمديَّة ذكرها سبحانه في القرآن لتبقى حجة الله على خلقه إلى يوم الدين.

ومنها مثلاً: انشقاق القمر، حيث كان هناك اعتقاد عند علماء الفلك أنّ هذا العالم قديم لا أوّل له، فبيَّن سبحانه أنَّ هذا العالم مخلوق حادث، له أوّل وله آخر، وأنَّ هذه النجوم والكواكب والشُّموس كلها مخلوقة بعد

عدم، وستنتهي إلى العدم، بدليل أنّ القمر قد انشقَّ نصفين متباعدين، وطالما أنَّه قَبِلَ الانشقاق فيقبل التغيّر والخراب والزوال، وهذا ما سيجري عليه يوم القيامة، ولذلك قرن سبحانه انشقاق القمر بوقوع الساعة، وأن انشقاق القمر دليل على خراب هذا العالم لَمَّا تأتي الساعة[1].

وقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان في مكة أن يَشُقَّ لهم القمر ليلة النصف، ليكون دليلاً وبرهاناً على صدقه صلى الله عليه وآله وسلم، فاجتمعوا ليلة النّصف، وجاء صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مَنْ آمن به من الصحابة رضي الله عنهم، وتوجَّه إلى الله تعالى فانشق القمر متباعداً نصفين، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم: «اشْهَدُوا، اشهدوا»[2] ليعلموا أنَّ الأمر حقيقة وليس

---

(١) كما في أول سورة القمر.

(٢) الحديث في البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال =

خيالاً أو وهماً، ولو أنهم طلبوا أن يشق لهم أي كوكب آخر لفعل.

لكن القمر ظاهر وبيِّن وواضح لجميع أهل الأرض، فيشهدون انشقاقه، وحيث أنَّه جاز عليه الانشقاق فيجوز عليه الخراب، وكذا سائر الكواكب، مما يُثبت أنها ليست قديمة، كما تقول: إذا نظرت إلى جدار قد ٱنشق: إنَّه سيأتي عليه يوم يخرب وينهار.

فلقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزات أعجزت علماء الفلك، وأقامت الحجة والبرهان على مَنْ زعم قِدم العالم، وأن الأمر طبيعة.

= المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية /٣٦٣٧/ ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر /٢٨٠٢/ (٥/٢٦٨٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وينظر في البخاري /٣٦٣٦/ ومسلم /٢٨٠٠/ عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومنها ما جاء في (الصحيحين)[1]: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنه عُرج به حتَّى أتى السَّماء الدنيا، واستأذن جبريل عليه السلام وَفُتِحَ لهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمينه أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَاره أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمينه ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شماله بكى» قال: «فَقَالَ: مَرْحَبَاً بِالنَّبِيِّ الصَّالح وَالابْنِ الصَّالح» قال: «قُلْتُ: يا جِبْرِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَال: هَذَا آدَمُ، وَهَذه الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِه وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ» الحديث.

فقول جبريل عليه السلام: «هؤلاء نسم بنيه» عن الأسودة الَّتي عن يمين ويسار سيدنا آدم عليه السلام أي: أرواح ذريَّته، ولم يقل: وبناته لأنهنَّ داخلات حُكماً من باب التغليب، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٧] فدخلت البنات أيضاً.

---

(١) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

وأمـــا قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] أي: بعد الموت ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: يوم القيامـة ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

أما أرواح الكُفّار الذين هـم عـن شمـال آدم عليـه

---

(١) وروى أبو داود الطيالسي، كما في (الدر المنثور) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: تخـرج روح المـؤمن أطيب من ريح المسك، فتنطلـق بهـا الملائكـة مِـنْ دون السَّماء فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فـلان بـن فـلان، كان يعمل كيت وكيت ـ لمحاسن عمله ـ فيقولون: مرحباً بكم وبه، فيقبضونها منهم، فيُصعد بها مـن البـاب الـذي كان يَصعد منه عمله، فتشرق في السَّـماوات ولهـا ـ أي: للروح ـ بُرهان ـ أي: نور ـ كبرهان الشَّـمس حـتى يُنْتَـهىٰ بها إلى العرش.
وأمَّا الكافر فإذا قُبض انُطلِقَ بروحـه فيقولـون: مـا هـذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان، كـان يعمـل كيـت وكيـت ـ لمسـاوئ عملـه ـ فيقولـون: لا مرحبـاً. رُدُّوه، فـيرد إلى أسفل الأرض، إلى الثرىٰ.

السلام، فهي أرواحهم قَبْل أنْ يُخلقوا في عالم الدنيا، لأنَّ الله تعالى خَلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام كما في الحديث: «خلق الله عز وجل الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[1].

وأودعها في السَّماء الأولى، وأسكن آدم في السَّماء الأولى، وجعل أهل الجنَّة عن يمينه، وأهل النار عن شماله.

ولمَّا يخلق الله الجنين في بطن أمه، ويريد أن ينفخ فيه الروح يأمر الملك أن يأتي بروحه، فإن كان من أهل الإيمان جيء بروحه عن يمين آدم، وإلا فعن يساره، وينفخها الملك في الجنين وهكذا.

حتى إذا مات الكافر فلا ترتفع روحه إلى السَّماء.

واعلم أن عالم السَّماء مرتبط بعالم الأرض كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:

(١) طرف من حديث أورده الديلمي في (الفروس) /٢٩٣٧/ عن سيدنا علي رضي الله عنه.

١٢]وقال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

فأمور الحياة والموت، والكفر والإيمان، والشقاء والسعادة، والذكورة والأنوثة، كل ذلك مودَع في السَّماء الأولى، ولذلك ناسب للوالد الجسماني للبشر أن يكون له اطّلاع على ذلك، فأسكنه الله تعالى في السَّماء الأولى.

وقول سيدنا آدم عليه السلام: «مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح» أي: الصالح لهذا المقام، مِنَ الصلوحية أي: الأهلية، ولا يكون ذلك إلا لمن صلحت نفسه ـ من الصلاح: ضد الفساد ـ حتى صار صالحاً، أي: أهلاً لما هنالك من المقامات العالية.

ومنها: ما جاء في (الصحيحين)[1] قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثُمَّ رفع لي البيت المَعْمُور، فسألت جبريل. فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه ـ وعند مسلم: «يدخله» ـ كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم».

---

(١) البخاري /٣٢١٧/ مسلم /١٦٤/ وينظر مسلم /١٦٢/.

ذكرى:

إذا كانت الملائكة تتشرف بالصلاة لله في البيت المعمور، فهي تتشرف أيضاً بزيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقد روى الدارمي بإسناده[1]، أن كعباً ـ أي: كعب الأحبار ـ دخل على السيدة عائشة رضي الله عنها، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال كعب: (ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة، حتَّى يحفوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضربون بأجنحتهم).

وفي رواية ابن النجار وغيره: (يضربون قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أي: يمسحون القبر الشريف بأجنحتهم تبركاً وتشرّفاً به.

(ويصلّون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتَّى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثل ذلك، حتى

---

(١) في باب ما أكرم الله تعالى به نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته /٩٤/ (١/٥٧).

إذا انشقت عنه الأرض خرج صلى الله عليه وآله وسلم في سبعين ألفاً من الملائكة يَزِفُّونه).

وفي رواية غير الدارمي: (يُوَقِّرُونَهُ).

قال الحافظ الزرقاني: أي: يعظِّمونه صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً.

ورواه ابن النجار، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، والقرطبي في (التذكرة)[1] كما في (المواهب)[2].

---

(١) في باب بَعْث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبره، وعزاه لابن المبارك في الزهد والرقائق، وانظره فيه برقم /١٦٠٠/.

(٢) في الفصل الثالث من المقصد العاشر، حول تفضيله صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة (٢٨٣/١٢) بشرح الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى. وينظر في (شعب الإيمان) للبيهقي /٤١٧٠/ (٤٩٣/٣) و(الحلية) (٣٩٠/٥)، وينظر كتاب الشيخ الإمام (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) فقد توسع في تخريج هذا =

قال الحافظ الزرقاني: ولعل كعباً علم هذا من الكتب القديمة لأنّه حبرها.

ولا تعجب من ذلك، فقد أخبر سبحانه أنَّه يصلّي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مُشَرِّفاً له ومكرِّماً له، وأن ملائكة الله تصلّي على سيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تَشرُّفاً وتبرّكاً به صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومنها: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ[(١)]: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما كَانَا يَقُولان: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ

=الخبر، وَعَنْوَنَ له: الملائكة عليهم السلام يحفون بالقبر الشريف ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) كما في (صحيح) البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/.

بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلام».

قَالَ ابْنُ حَزْم وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ: «فَفَرَضَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسين صَلاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فقال: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاةً.

قَالَ فَارْجعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ.

فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا.

فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذلك. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا.

فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ.

فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي.

ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جنابذ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

فوائد علمية:

لقد ثبت الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنصّ القرآن صراحة في أول سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وأشار سبحانه إلى المعراج إشارة في هذه الآية: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ إذ إنَّ المقصود من هذه الآيات: الآيات العلويَّة، والعوالم الغيبيَّة الَّتي شاهدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معراجه إلى السَّماوات،

إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام.

وقد ثبت المعراج نصًّاً في أول سورة النجم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

وإنَّ في الإسراء والمعراج فوائد ومنافع كبيرة لأمَّة سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتجلَّى ذلك في إخباره صلى الله عليه وآله وسلم عمَّا هنالك من المغيبات وقضايا الآخرة، فجاء صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر أنَّه رآها وشاهدها واطَّلع عليها، ممَّا يزيد في إيمان المؤمن بالقضايا الغيبيَّة، ويكون إيمانه قد حصل بطريق الخبر الصادق، والرؤيا العينيَّة.

فإن قيل: هل هناك مَنْ ذهب ورأى العوالم الغيبيَّة الَّتي أخبرنا الله عنها؟

فيقال: نعم. لقد رأى ذلك أصدق خلق الله

تعالى، وأعلمُهم بالله تعالى، وأخبر أنَّه رأى ما هنالك.

وإن رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم لتلك العوالم هي أقوى من رؤية غيره، لأنَّ الله تعالى أمدّه بالقوَّة العالية، والخصائص التي لم ينلها غيره.

فَمَنْ صدَّق وأيقن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى حقاً تلك المغيَّبات فيكون ذلك كأنَّه هو الذي رأى، لأنَّ رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقوى وأصدق من رؤية العالمين كلِّهم.

ولقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه عياناً، وأخبر بذلك ليقوى ويزداد إيمان المؤمن بربه، وإنْ كان وجود الله تعالى ووحدانيَّته قد ثبتت بالأدلَّة والبراهين العقليَّة القاطعة، وثبتت بالمعجزات الكونيَّة المتنوِّعة الَّتي جاء بها الرسل عليهم السلام، فقد ثبتت أيضاً برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربِّه جلَّ وعلا، وهذه المكرمة والمنزلة خاصَّة به صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا يمكن لأحد أنْ يرى ربَّه في عالم

الدنيا يقظة، لضعف نشأته الدنيويَّة، وحجابه النفساني، إلاَّ ما أكرم الله به سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وأمدَّه لذلك المقام، قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

ولقد كان الإسراء والمعراج في الليل، لِما في اللَّيل من خصائصَ وأسرارٍ وتجلِّيات لربِّ العالمين، منها ما جاء في الحديث الصحيح، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[١].

وإن لله تجلِّيات في الليل لا تكون في النَّهار، وقد ذكر أبو نصر المَرْوزي بسنده[٢] أنَّه صلى الله عليه وآله

---

(١) تقدم تخريجه ص /٥٦/.

(٢) في كتاب قيام الليل، ينظر مختصره للقزويني ص /٤٠/.

وسلم قال: «إنَّ الله تعالى له تَنَزُّلات في اللَّيْل» أي: تجلِّيات «في الثُلث الأوَّل إلى الذِّكر» وهو الكتاب الذي ذُكر فيه كلُّ شيء، وهو غير أمّ الكتاب «فيَتَجَلَّى. فَيَمْحُو مَا شَاء ويُثْبتُ، وعِنْدَهُ أُمُّ الكتَاب، ثُم يَنْزِلُ في الثُّلث الثَّاني إلى جَنَّة عَدْن، الَّتي أعَدَّهَا لعبَاده الصَّالحيْن، فيقول جلَّ وعلا: طُوبى لِمَن دَخَلَكِ. ثُمَّ يَنْزِلُ في الثُّلث الأخَيْر إلى السَّمَاء الدُّنْيَا فيقول...» الحديث كما تقدم.

وهذا التنزل يعني: تجلّي الحق بأنواره وأسراره ورحماته، وإقباله على عباده. وليس تنزلاً مكانياً انتقالياً. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولمَّا كان جبريل عليه السلام يستفتح باب كل سماء ومعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان رئيس الخزنة يقول له: «وَمَنْ معك»؟ ولم يقل: وهل أحد معك؟ فَمِنْ أين أحسّ أو شعر بوجود أحد مع سيدنا جبريل عليه السلام.

نعم. لقد أحسَّ بذلك لقوة الروحانيّة والنورانيَّة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم يقول الخازن: «وَقَد أُرْسِلَ إليه»؟ أي: هل أرسلك الله تعالى يا جبريل لدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تصحبه لحضرته؟

فانظر في هذا التكريم والتفضّل الإلَهي على جناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أرسل إليه أفضَل ملائكته يدعوه لحضرته، وأعْلَم بذلك ملائكة وخزنة السَّماوات حتَّى يَستعدُّوا ويتهيَّؤوا لاستقبال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والترحيب به، فيقول خازن كلِّ سماء: «مَرْحَبَاً به فَنِعْم المَجِيء جَاء».

ورأى صلى الله عليه وآله وسلم في السماء الأولى آدم عليه السلام، وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام.

وفي السَّماء الثالثة رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوسف عليه السلام، وقد أُعْطِي شَطر الحسن، أما الحُسن كله فقد أعطاه الله تعالى لسيدنا

محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أجمل وأحسن خلق الله تعالى على الإطلاق، ولم تَفتتن به النِّساء لأنَّ الله تعالى حفظه وصانه من فتنة النِّساء، ومن فتنة الرِّجال.

فلقد حفظ الله سيدنا محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم وصانه مِنْ أن تُفتن به النِّساء، إذ كساه بالمهابة والجلال مع الحسن والجمال.

وصانه من فتنة الرِّجال، فلم يعبدوه مِن دون الله كما فُعِل بعيسى والعزيرُ عليهما السَّلام، فلم يقل أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّه إلَه، أو إنَّه ابن الله، أو إنَّه ثالث ثلاثة، ولا يُمكن لأحد أن يعبد سيِّدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، لأنَّ الله تعالى حفظه وعصمه.

أما تعظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره: فهو أمر واجب يدركه كل مؤمن.

ومن الفوائد والمنافع الَّتي تعود على الأمَّة من وراء إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم :

أولاً : أنّ الله تعالى أطلعه وكشف له عن أمورٍ وقضايا غيبيَّة، رآها وسمعها وحَدَّث عنها، لتبلغ المؤمن المحمَّدي، ويكونَ على بينة من أمور دينه، إذ يكون الإيمان في قلبه قد حصل له عن طريقين:

أولهما : إخباراته صلى الله عليه وآله وسلم عن قضايا الإيمان الغيبيَّة.

وثانيهما : إخباره صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه رأى ذلك.

وطالما أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عمَّا رأى، فكأنَّ المؤمن قد رأى ذلك أيضاً، لأنّ رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم أقوى وأكبر من رؤية العالمين كلهم.

ولقد كان الإسراء بقوة الله تعالى وقدرته، الَّتي لا يحدُّها حدٌّ ولا قيد، دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

وكذلك معراجه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السَّماوات وما فوقها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في (مسنده)[1]: «لمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وجَلَّ» الحديث.

فهو سبحانه أسرى بعبده صلى الله عليه وآله وسلم، وعَرَجَ به إلى السَّماوات، فلا تعجب من ذلك ولا تستبعده، فإن الله قادر على كُلِّ شيء.

وليست قضيَّة المعراج مُجرد اعتلاء لطبقات الجو حتَّى السَّماء، فإنَّ ذلك يتمكن منه كلُّ جنِّيٍّ، بحكم نشأتهم الَّتي أنشأهم الله عليها، فيصعد أحدهم حتَّى يقترب من السَّماء ليسترق السمع من الملائكة، فترميه الملائكة بالشُّهب، فينهزم أو يحترق، كما أخبر سبحانه: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

ولكن الأمر العجب أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) (٢٢٤/٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

دخل في عالم السَّماوات، ورأى ما رأى، ثُمَّ ارتقى إلى ما فوق السَّمَاوات، حتى سدرة المنتهى، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم عُرِجَ بي حتى ظَهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[(١)] وهي الأقلام الإلَٰهية الَّتي تجري في تسطير القضاء الإلَٰهي، والعطاء الإلَٰهي للخلائق. أمَّا الأقلام التي تجري بها كتابة المقادير، فقد قال عنها صلى الله عليه وآله وسلم: «رُفِعَت الأقْلامُ وجَفَّتْ الصُّحُف»[(٢)] يعني: أنَّ كتابة المقادير أمر سابق على الخَلْق، ففي الحديث الذي رواه مسلم[(٣)] عنه

---

(١) كما في البخاري /٣٤٩/ ومسلم /١٦٣/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) طرف من حديث رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة /٢٥١٨/ (٢٠٣/٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في كتاب القدر /٢٦٥٣/ (٢٥٦٩/٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلائق قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

ومَنْ وقف ذلك الموقف عَرف ما سيجري في الكائنات كلِّها، لأنَّه لا يتحرك قلم حركة إلا وسيظهر أثره في الكون؛ إمَّا في عالم الرحم، أو عالم الدُّنيا، أو عالم الجماد وهكذا.

فلقد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الموقف، وسمع، وأطلعه الله تعالى على ما هنالك.

ثانياً: اعلم أنَّه سبحانه قد ذكر قصَّة الإسراء والمعراج في القرآن الكريم، حتَّى يقرأها كل مؤمن على مرّ الزمان، ويعلم أنّ في إسرائه ومعراجه منافعَ كبرى تعود على كل مؤمن، ومنها المنافع العلمية، والإيمانيَّة، والإخبارات عن العوالم الغيبيَّة...

فمن ذلك: أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم بيَّن أنَّ السَّماوات السَّبع الَّتي أخبر عنها القرآن الكريم هي

عـوالم كـبيرة، فـوق النجـوم والكواكـب، وليسـت السَّماوات هي الكواكب السبع السيَّارة، بل هـي عـوالم كبيرة، عَدَدُها سبع، كما أخبر القـرآن الكـريم، وكـلّ سمـاء تحـيط بـالَّتي قبلـها، وَبَـيْنَ كـلٍّ سَـماء وسَـمَاء خمسمائة عام، ورأى ذلـك رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم وأخبر عنه[1].

وأمَّا جميع الكواكب الظاهرة في هـذا الفضـاء الكـبير فهي كلها دون السَّماء الأولى، كما قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم أن كـل سماء هي عالم كبير له أبواب كثيرة ولا يمكن لأحـد أن يدخلها إلا بإذن من الله تعالى، وكذلك كان جبريل عليه السلام لمّا يَستفتح باب السَّماء يقول لـه خازنهـا: «مَـنْ

(١) ينظر كتاب الشيخ الإمام (هدي القرآن الكـريم إلى معرفـة العوالم والتَّفكر في الأكوان).

هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَنْ معك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: وقد بُعث إليه؟ ـ يعني: هذا هو الذي أَرسل الله إليه يدعوه إليه؟ ـ قال جبريل عليه السلام: نعم. قال: ففتح لنا، وقال: مَرحباً به ولنعم المجيء جاء»[1].

فقد أراد الخازن أن يتحقق حتى يستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحفاوة والتكريم.

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملائكة السَّماء عياناً، وأخبر عن ذلك وقال: «إني أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السَّماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلاَّ ملك واضع جبهته ساجداً لله»[2].

---

(١) كما في (المسند) (٤/٢٠٨) و(صحيح) مسلم /١٦٤/ عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص /١٣٧/.

ورأى صلى الله عليه وآله وسلم عالم الجنَّة ودخلها، كما روى البخاري ومسلم في صحيحهما[1]:

«ثم أُدْخِلْتُ الجنة فإذا فيها جَنابِذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك» وإنَّ رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ومعاينته لقضايا الغيب؛ هي أقوى وأعظم من رؤيتك أيُّها الإنسان، لأنَّه رسول الله، الذي أعدَّه وأمدَّه الله بالقوى والخصائص العالية، فلما قال صلى الله عليه وآله وسلم لك رأيتُ كذا وكذا من أمور الغيب فكأنَّك رأيتَ، بحيث يصير إيمانك بتلك المغيَّبات إيماناً عينياً، وإنْ كنت أنت لم ترَ بعينك، فإنَّ هناك مَنْ هُو أصدق خلق الله تعالى، وأعلم خلق الله تعالى رأى وأخبر عمَّا رأى.

ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهر الكوثر فقال: «رأيت نهراً في الجنَّة حافتاه قباب اللؤلؤ قلت: ما

---

(١) البخاري /٣٣٤٢/ ومسلم /١٦٣/ عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»[1].

ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موقفاً أطلعه الله فيه على أهل النَّار، فرأى النَّار وما فيها، وهي في أسفل سافلين[2]، ورأى أهل البرزخ وحدَّث عنهم.

فمن ذلك: «أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم أتَى على قوم تُرْضَخُ رؤوسهم بالصخر، كلَّما رُضِخَتْ عادت كما كانت، ولا يُفَتَّرُ عنهم من ذلك شيء.

قال: يا جبريل من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين تتثاقل رُؤوسهم عن الصلاة.

ثم أتى على قَوم على أَدبارهم رِقاعٌ، وعلى أقبالهم

---

(١) الحديث في البخاري في كتاب التفسير /٤٩٦٤/ (٨/٧٣١) والترمذي ـ واللفظ له ـ في كتاب التفسير /٣٣٥٦/ عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ينظر (دلائل النبوة) للحافظ البيهقي (٢/٣٩٤).

رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام، ويأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم وحجارتها.

قال: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذي لا يُؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أتى على رجل قد جَمع حزمة عظيمة لا يستطيع حَملها، وهو يريد أن يزيد عليها.

قال: يا جبريل ما هذا؟ قال هذا: رجل مِنْ أمتك عليه أمانات النَّاس لا يستطيع أداءها؛ وهو يزيد عليها.

ثم أتى على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من حديد، كُلّما قُرِضَت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء.

قال: يا جبريل ما هؤلاء؟ قال: خطباء الفتنة.

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فيريد الثور أن يدخل مِنْ حيث خرج فلا يستطيع.

قال: ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا الرجل يتكلَّم بالكلمة العظيمة فيندم عليها فيريد أن يردَّها فلا يستطيع»[1].

وجاء في (سنن) ابن ماجه[2] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ، فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ.

فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟

قَالَ: هَؤُلاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا».

وفي رواية للإمام أحمد[3]: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَجُلاً يَسْبَحُ فِي نَهَرٍ؛ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ. فَسَأَلْتُ: مَا هَذَا؟

---

(١) طرف من حديث رواه البزار (مجمع الزوائد) (١/٦٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا /٢٢٧٣/ (٧٦٣/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وهو في (المسند) (٢/٣٥٢).

(٣) (٥/١٠) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه.

فَقِيلَ لِي: آكِلُ الرِّبَا».

وروى الإمام أحمد في (مسنده) ـ واللفظ له ـ وابن حبَّان[1]، أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْم تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ.

قُلْتُ: مَا هَؤُلاءِ؟ قال: هؤلاء خُطَبَاءُ أمتك مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا يَعْقِلُونَ».

وفي رواية للبيهقي[2] «فقلت: يا جبريل؟ من هؤلاء؟ قال: خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِي يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، ويَقْرَؤُونَ كِتَابَ الله ولاَ يَعْمَلُونَ بِهِ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْم لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ

(١) (المسند) (٣/١٨٠) ابن حبان (١/١٣٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) (شعب الإيمان) (٢/٢٨٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ.

فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟

قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[1] أي: بالسبِّ والذمِّ والشتم والسُّخرية.

وقد أخبر عن ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتَّى يكون المؤمن على حذر من هذه الصفات، ويتجنَّب الوقوع فيها. **وفي هذا فوائد ومنافع يرجع آثارها على كل مؤمن يبحث في قضية إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم.**

ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل الطاعات وثوابهم.

فمن ذلك ثواب المكثرين من ذكر الله تعالى، ففي

---

(١) الحديث في (مسند) الإمام أحمد (٣/ ٢٢٤) و(سنن) أبي داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة /٤٨٧٨/ (٥/ ١٩٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَجُلٍ مُغَيَّبٍ في نُورِ العَرْشِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ أَهَذَا مَلَكٌ؟ قِيلَ: لا، قُلْتُ: نَبِيٌّ؟ قِيلَ: لا، قُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ قِيلَ: هَذَا رَجُلٌ كَانَ في الدُّنْيَا لسَانُهُ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله، وقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، ولمْ يَسْتَسِبَّ لوَالِدَيْهِ»[1].

أي: كان براً بهما، ولا يأتي بأمر يجر السبّ على والديه، فهو يحفظ شرفه وكرامته وشرف والديه أيضاً.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الجَنَّة مَكْتُوباً: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أمثالها، والقرض بثمانية عشر.

فَقُلْتُ: يا جبريل مَا بَالُ القَرْضِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَة.

قال: لأنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وعِنْدَهُ، والمُسْتَقرض لا يَسْتَقْرِضُ إلاَّ مِنْ حَاجَةٍ»[2] فالصدقة لا يقبلها كل

---

(١) تقدم تخريجه ص/٨٨.

(٢) رواه ابن ماجه في (سننه) في كتاب الصدقات، باب

إنسان؛ خاصة مَنْ كان عفيفاً، عزيز النَّفس، فهو يطلب القرض ثم يرده بعد مدَّة ... وهكذا.

وجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «لمّا فرَغْتُ» أي: ليلة الإسراء والمعراج «ممَّا أمَرَني الله به من أمْرِ السَّمَاواتِ والأرْض» يعني: أن الله أطلعه على أمور وأسرار السَّماوات والأرض.

«قُلْتُ: يَا رَبّ إنّه لَمْ يكُنْ نَبي قَبْلِي إلاَّ وَقَدْ كَرَّمْتَه جَعَلْتَ إبْرَاهيَم خَليْلاً، ومُوسَى كَليْماً، وسَخَّرْتَ الجِبَالَ لداود، ولسُلَيْمَان الرِّيْح والشَّيَاطيْنَ، وأحْيَيْتَ لعيسى المَوْتَى؛ فَمَا جَعَلْتَ لي؟

قال: أولَيس قَدْ أَعْطَيْتُكَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلكَ كُلّه؟ أنْ لا أُذكر إلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي»[1].

وهذا مقتضى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾.

القرض /٢٤٣١/ (٢/٨١٢) وينظر في (الشعب) للبيهقي /٣٥٦٦/ عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) تقدم تخريجه ص /٩٢/.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم[1]: «لمَّا أُسْرِيَ بِي إلى السَّمَاء دَخَلْتُ الجَنَّة فَرَأيْتُ في سَاقِ العَرْشِ مَكْتُوباً: لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسُولُ الله».

هذا من جملة رفع الله تعالى لذكر اسم حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وَمِن ذلك في الطاعة، والأذان، والإقامة، والشهادتين، وغير ذلك مما تجده في كتاب الله تعالى، حيث يقرن سبحانه اسم حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم باسمه جلَّ وعلا.

ومن ذلك يعلم المؤمن فضل الله تعالى عليه بأنْ هداه للإيمان، وجعله من أمة خير الأنام، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يجب عليه أن يَشكر الله تعالى على هذه النعمة الكبيرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

(١) رواه الطبراني (مجمع الزوائد) (١٢١/٩) عن سيدنا أبي الحمراء رضي الله عنه.

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل سمعه يقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام وجعلني من أمَّة أحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «شَكَرْتَ عَظِيْماً»[1].

وقوله تعالى في الحديث القدسي[2]: «وجَعَلْتُ صُدُور أَمَّتكَ أَنَاجِيْلَ يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ ظَاهِرَاً» أي: أمدَّ الله تعالى هذه الأمة المحمَّديَّة بقوة يتمكن بها المؤمن من حفظ القرآن عن ظهر قلب، فيصير قلبه مصحفاً، وكما تتشرف الصحف إذا كُتبت فيها آيات الله تعالى، فكذلك يتشرف القلب الذي وعى القرآن وحفظه، وقرأه ظاهراً،

---

(١) رواه البيهقي في (الشعب) /١٥٠٠ و٤٤٩٩/ (٢/١٨٨ و٤/١١٩) عن سيدنا منصور بن صفية رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص /٩٢/.

بل هو أعظم مِنْ شرف الصحف القرآنية، لأنَّ قلب المؤمن قَلبٌ يفهم المعاني، ويُدرك مقاصد الآيات القرآنية، بخلاف الصحف الجامدة.

«وأعْطَيْتُكَ كَنْزاً من كُنُوز عَرْشِي» أي: كنزته لك ولأمَّتك «لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله العليّ العَظِيْم».

فهذه الصيغة مكنوزة لهذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأمَّته، وبها يفتح الله الأغلاق، ويكشف الضُّر والكربات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

* * * * *

المحتـوى

الموضوع **الصفحة**

وصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدنَا مُحَمَّد
كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ
والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ